رواية
نجوى العتيبي
رفُّ اليوم
"ما لم يستطع السيّد الحصول عليه"
أثر
مكتبة

رفُّ اليوم

رفٌّ اليوم / رواية

نجوى العتيبي

الطبعة الأولى 1444 / 2022

ردمك: 978-603-91898-0-0

رقم الإيداع: 752 / 1444

أثر

دار أثر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966549966668

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

البريد الإلكتروني: info@darathar.net

14 3 2024 مكتبة

t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

رفُّ اليوم

ما لم يستطع السيد الحصول عليه

«رواية»

مكتبة
t.me/soramnqraa

نجوى العتيبي

أثر

1

السلعة غير متوفرة

مكتبة سُر مَن قرأ

مزاجي ليس جيدا مذ استيقظتُ ظهرا، والمشكلة أنني حين دخلتُ المتجر لم أجد السلعة التي أودُّ شراءها لليوم، ومعرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء لم تتدخل لإنقاذي هذه المرة؛ فلم أجد منتجَ صديقٍ بالمواصفات المطلوبة على رفِّ اليوم ولا أعرف أين أجده، وكل ما وجدته إما أن يكون عمره المكتوب على العلبة غير مرغوب، أو أن يكون الجنس غير مناسب، أو يكون مزاج المنتج مختلف عن مزاجي، أو أنه ليس سليما تماما، أي فيه علَّة نفسية أو جسدية؛ فليس الكل يودُّ الحصول على منتجِ صديقٍ سليم نفسيا، بعضهم يحب أن يكون مهووسا أو مكتئبا مثله ليفهمه، أو تكون به علَّة جسدية وهؤلاء لا أفهمهم البتة مهما حاولت! فمن يشتري منتجَ صديقٍ لا يتمتع بكامل صحته الجسدية؟ غريب أمر هؤلاء الناس...

وأنا كنتُ أودُّ شراء منتجِ صديق من سن الخامسة والعشرين حتى الثلاثين، وأردته أن يكون ذكيا وكوميديا ولا يتدخل في شؤوني الخاصة. وهذا النوع من الأصدقاء لم ينزل منذ فترة، ويُسمَّى مُنتَج صديقٍ نجميّ، أي مكتمل النجوم، وذلك لا يحدث إلا إن علا الطلبُ على المنتج، وكانت قِطع صيانته جيدة وقادرة على الاحتفاظ بالمنتج كما هو مهما طال زمن استعماله. لكن من يودُّ منتج صديق طويل الزمن! هذا لا يحدث إلا مع ذلك الجيل المجنون الذي يتمسك بكل شيء.

مزاجي سيئ جدا اليوم، وعندما بحثتُ عن منتجي المفضَّل في المتاجر الألكترونية وجدتها فارغة؛ فالطلب عليه كثير جدا، لكنني توقعت أنَّ المتجر القريب من منزلي يبيعه، فروَّادُهُ ليسوا كُثُر، ولا يتلقَّى الطلبات بغزارة كالمتاجر الأخرى التي تفرغ منها المنتجات سريعا، وهو متجر يعاملني دائما بشكل خاص ويدلِّلني برغباتي التي أتمناها، وقد توقعت بصراحة أنه يحتكر بعض المنتجات للخاصة أمثالي ليضاعف السعر ويكسب من ورائي، ولا مانع لدي في ذلك، لكنه حقا غير موجود.

أخ! كان من المفترض أن أشتري منتجا إضافيا عندما أُتيح منذ فترة، لكنني ظننتُ أن في وسعي التخفف من تملُّك هذا المنتج الذي صار يزعجني. توقعت أنني تخلصت من إدماني على التمسك بالصداقة! يبدو أنني أحتاج إلى خطة علاجية أخرى جديدة، ولكن من يمتلك الوقت للعلاج! من الأسهل أن أباشر إدماني وأسُدَّ حاجتي ولو مؤقتا، ثم أتخلص من المنتج بطريقة نظامية، فالأمر لا يحتاج إلى مبالغات العلاج النفسي التي تسبب لي المرض النفسي نفسه!

إن المشكلة الآن تكمن في كوني لا أستطيع استبداله بالنوع المستورد مع أنه نوع ممتاز؛ فقد تلقيت درسي الذي لا أنساه بخصوص المستورد عندما طلبت صديقا من النوع المفضل لي، ثم اكتشفتُ أنه جاسوس! نعم لقد كان جاسوسا!

كان يسجِّل المعلومات ويرسلها إلى تلك الدولة اللعينة، وقد أخذَ نسخةً من كل بياناتي ومعلوماتي، ولم أكتشفه سوى بمحض الصدفة! عندما شعرت بتشويش في اتصالاتي وفي تنفيذ عمليات بنكية لم أقم بها في الوقت الذي كنتُ فيه نائما، وانتبهتُ إلى الخديعة التي وقعتُ فيها عندما أخذت حبة النشاط التي اعتدت على أخذها وقت المهمات الصعبة، تلك الحبة التي

تبعد النوم عني ولكن بصورة صحية، وهي غالية جدا ولكن لا بأس بالسعر لدي، المهم أنني أعمل وأنتهي في الوقت الذي أريد وأحدّده أنا لا جسمي!

أذكر أنني كنتُ في قمة انشغالي الذي تحفَّزتُ فيه ونشطت كثيرا حتى رأيتُ العمليات البنكية موجودة في حسابي، ففهمت أنني كنتُ أتعرض للسرقة يوميا دوني علمي؛ لأنَّ كل شيء يُؤدَّى ويُمحى وقت النوم لئلا أنتبه، لكنني خالفتُ توقعات ذلك المنتج المستورد اللعين عندما أخذت حبة النشاط فتعطَّل مسحه للبيانات. هل توقَّعَ مثلا أنني أخبره بكل تفاصيلي إن كنتُ سآخذ الحبة أم لا!

عفوا! لم أشتر الأصدقاء لهذا السبب!

المهم أنني نسَّقتُ أمر القبض عليه في منطقة معتمة، تُسمَّى «وحدة نقاط الضبط المنهجي» وهي وحدة حذِرة لا تقوم بعملها الميداني وهي مزوَّدة بأية وسيلة تقنيَّة، كما أنها مُحاطة بعوازل ثقيلة ومنيعة تصعِّب التواصل الخارجي للهدف، حينها وجدناه جاسوسا محترفا فعلا!

نظرتُ في عينيه مباشرة خلال ساعة من التحديق البارد، كان يستعطفني بقضائه الوقت معي وهو يبكي وينتحب، ويعدِّد فضائله وميزاته، ويذكّرني بالكيفية التي استمتعتُ فيها معه وماذا صنع لأجلي... إلى آخره، ويرجو بذلك ألا أقتله.

كان يودُّ مني أن أساعده في تخفيف الحكم، أو أن أجرِّده من كل امتيازاته في الانضمام لمنتَج الصداقة العالمي على الأقل، ثم أعيده لبلده هكذا دون أية عقوبة!

تركته يبكي وينهار لمدة ساعة دون أن أقول له شيئا، فقط مجرد تحديق بارد؛ تحديق كانت فيه عيني كعيني دمية وقلبي كذلك. ثم خرجتُ بعد أن

قلت له جملة واحدة: «لم أشترِ الأصدقاء لهذا السبب!». ونظرتُ لـ «وحدة الاهتمام المحلي بشؤون المنتجات» ثم قلتُ لهم: «افعلوا فيه ما شئتم»، ومن المفترض أن تكون هذه الفرقة محايدة في النظر إلى مثل تلك المشاكل، لكنَّ المال يُغيِّر كل شيء. صحيح أنني لم أوجِّه لهم كلمة مباشرة تملي عليهم طريقة التعامل مع هذا الصديق الغادر؛ وإلا فسوف أُغرَّم من قبل الوحدة وأُمنَع من شراء أي منتج للصداقة لمدة ثلاثة أعوام، لكنَّ الجملة التي قلتها متعارَفٌ عليها وعلى ما يمكن أن تؤدي إليه. بالطبع سيُقتل! وماذا يتوقع! المهم أنني لم أصدر أمرا مباشرا يجرِّمني قانونيا، وإلا فلا رحمة للأصدقاء الغادرين.

وقد سبَّب لي مشكلةً ذلك القذر؛ فقد اعترضَتْ شركته المصنِّعة لدى «وحدة حقوق منتجات الصداقة» لأنهم شكَّوا بأن منتجهم تعرَّض لسوء استعمال مقصود، ولم يخرجني من هذا المأزق المحرِج إلا انتباه «وحدة نقاط الضبط المنهجي» وإصدارها لورقة موقَّعة باسمي تبلِّغ عن فقدان المنتج قبل قيامها باستدراجه للغرفة المعتمة. ولولا أنها وحدة ذكية تستبق الأحداث لكنتُ في خبر كان! يا لجمال سلطة المال! إنه قادر على تشييد مملكة كاملة فعلا حتى الجريمة فيها كاملة!

المهم أنني نسيت ذلك المنتج المستورد الفاشل وما فعله بي تماما بعد ذلك، لكنني ذكرت الموقف الآن بعد أن قلَّ إنتاج نوعي المحلي المفضل.

لا أعرف ما هذا الزمن الذي نحيا به! تخيَّل الصدمة! تشتري من حُرّ مالك صديقا، وتخلص له برعايتك ووقتك وصيانتك، ثم تكتشف أنه يتجسس عليك ويسرقك ويبيع معلوماتك للعدو!

ما هذه الصداقة الهشة!

وقتها قررت أن أكتفي بالمنتج المحلي للأصدقاء، وأن أستبدله إذا مللتُ بسلعة أخرى محلية، وهكذا حتى أقي نفسي ومستقبلي من سموم الصداقة.

المهم في المنتج المحلي أن يراعي المشتري بنود اللائحة التنظيمية لوحدة حقوق منتج الأصدقاء فلا يمكن أن أهمله، ويجب أن أهتم بإدخاله الصيانة دائما في مواعيدها المحددة لئلا يُصاب بالتشويش أو الجنون، وأن أسلمه إلى «وحدة إعادة تدوير الأصدقاء القدامى» إذا مللتُ منه أو رغبتُ بالتبرع به. أمَّا إن كان معطوبا أو تالفا بأكمله؛ فيجب أن أحاول إصلاحه أولا، وإلا تعرضتُ للمساءلة والغرامة وربما يصل الأمر إلى السجن. ولم أصل لتلك الحالة أبدا، كنتُ دائما عندما أمَلُّ من منتج الصديق أُسلّمه في أفضل حالاته لأقرب مركز لإعادة تدوير الأصدقاء القدامى، دون أن يكلفني الموضوع أي اعتذار أو تأنيب للضمير أو أية مستحقات مالية. كنتُ أُضرُّ به بشكل بسيط فقط وذلك عندما أسلمه في أفضل حالاته؛ لأن تقييم جودته يقلُّ بمقدار ربع نجمة من أصل خمسة نجوم لمجرد التخلي عنه، لكنَّ ذلك كان رغما عني، فبالتأكيد أنا لم أقصد ذلك! فماذا أفعل! هل أجبر نفسي على مصادقته؟! لم أشتر الأصدقاء لهذا السبب! ولا أحد يشتري الأصدقاء لهذا السبب...

وإعادة المنتج لا تتأتى إلا للمنتج المحلي، فإعادة المنتج المستورد لها إجراءات طويلة ومعقدة قليلا. وهذا يجعل من المنتج المحلي عموما منتجا أفضل.

وأنا صرتُ أفضّله بعد تجربة طويلة مع المنتجات المتنوعة لشراء الأصدقاء؛ لأن المحلي منه مزوَّدٌ بالخلفية الثقافية التي تجعل للحوار أرضا مشتركة؛ فعندما أضيق بعلاقاتي الأسرية والاجتماعية فإنه قادر على فهمي مباشرةً واقتراح الحلول المناسبة لي، أو مجاراتي على الأقل في فهم معاناتي، بخلاف المنتج المستورد الذي أضطر معه أحيانا إلى الشرح والتبيين، ووقتي لا يسمح؛ فلا أحد يشتري الأصدقاء لهذا السبب.

هذا النوع غالٍ أيضا، ولكن لا مشكلة لدي مع المال، كما أنَّ صيانته

صعبة، فلا يمكن أن تشتري منه وأنت لا تحمل في هاتفك رقم مهندس بارع في صيانته يستطيع أن يأتيك في أي وقت.

أعلم أن الأمر معقد لمن لم يعتد عليه أو يجربه، فالوحدات التي يتعامل معها العميل كثيرة واللوائح دقيقة، والعقوبات لا ترحم، لكن الأمر ينجح دائما باتباع القواعد، فكل شيء موضَّح على العلبة وفي دليل الإرشادات الذي يأتي مع المنتج، وعلى المشتري أن يقرأ كل ذلك جيدا.

المهم أنني لم أجده هذا اليوم وساء مزاجي أكثر، ولا أعرف حلًّا لمشكلتي هذه، فالفضفضة لهؤلاء الناس أمر مزعج؛ إذ لا يمكنني إرغام أحد على النسيان أو التحكم بكلامه.

مزاجي سيئ جدا وساء زيادة حين اتصلت بي والدتي وتشاجرنا، ولا أعرف ماذا تريد مني هذه السيدة ولماذا تحب أن تفسد أوقاتي. ولو جلستُ معها قليلا وأخبرتها بما أشتكي منه لقالت لي: «مزاجك لن يسوء فجأة، والذكريات لا تنهال على المرء فجأة، لقد فُتح نظامك يا بني، فتعال وامضِ معنا بعض الوقت لتستعيد عافيتك!»... إنه كلام مجنون وفارغ...

حتى أمي لا أستطيع التحدث معها!

ما هذا العالم الممل الذي لا يهدأ فيه بالي مع أحد قادرٍ على الكلام!

ملل ملل ملل...

خرجتُ من المنزل قبل أن أنام، وتسكَّعتُ قليلا بالقرب من تلك الحديقة الزجاجية الصغيرة التي تعرفني جيدا. جلستُ على مقعدي المفضَّل، ومدَّت شجرتي المفضلة أياديها باتجاهي وأحاطتني بأغصانها، التفَّت عليَّ وطوقتني كالثعبان وأنا أشعر بها تدخل كل مسامي وتواسيني بكلماتٍ أحسُّ بها في داخلي. شعرتُ بأنني في حاجة كبيرة لمثل هذه المعانقة. وبعد دقائق ربتُّ

عليها بيدي فانكمشت أغصانها وعادت ملتصقة بالشجرة، وقفتُ أنظر إليها وأنا أقول:

أنتِ تفهمينني أكثر من أمي مع أنك لا تتكلمين. صدرت عنها هزَّة خفيفة، شعرتُ بأنها توافقني بما قلته، ثم مضيتُ إلى المنزل.

لقد صرتُ أعامل الأشياء بحنان منذ أن ماتت نبتة مفضلة لي ذات مرة... لا أعلم ما الذي حدث حين احتضنتني بقوة ودفعتها بإصبعيّ عن رقبتي، لقد تراجعت في حوضها حزينة جدا ثم ذوت سريعا وانكمشت على نفسها واسودَّت بسرعة، حاولت أن ألمسها وأربت عليها لتنتعش، لكنها لم تتجاوب معي، فشعرتُ أنها ماتت حزنا بسبب مضايقتي لها، وقد ترك حزنها على ذينك الإصبعين علامتي حرقٍ موضعي لم يزل منهما إلا بعد أيام.

أحزنني تذكُّر ذلك الآن مما يجعل من يومي سيئا بجدارة.

وجدت نفسي نهاية هذا اليوم أُسجِّل حديثي في هاتفي لأنني كنتُ بحاجة ملحَّة للتحدث مع أي أحد... تخيَّلتُ أنني أتحدث إلى أحد ما يقف أمامي ويتجوَّل معي كما كان يفعل منتج صديق.

ذكرتُ تاريخ اليوم والدقيقة في بداية التسجيل، وقد انتهيتُ الآن من قول ما أود، وسأغلق الجهاز لأحاول النوم وأنا أعلم جيدا بأنَّ النوم بعيد عني جدا.

2

منتجات محجوبة

مزاجي سيئ جدا لهذا اليوم، كأنَّ الكون كان يجمع ما يثير استيائي كله ليفاجئني به في يوم واحد.

فبعد تعذُّر وجود منتج الصديق الذي أفضِّله؛ فتحت هاتفي على النشرة المصورة للأخبار، فوجدتُ الرئيس يماطل قرار خط إنتاج الوالدين. يا إلهي! هل عدنا لمثل هذا الحديث!

يكفي أنَّ منتج صديق لا يتوفر في الأسواق المحلية كلها كما نحتاج، أنعود أيضا لمناقشة هذه الخطة؟!

هل العالم يتقدم إلى الأمام أم يتراجع إلى الخلف!

هل يمزح سيدي الرئيس معنا!

إنه يلزمنا بأن نتحمَّل أبوينا مدى الحياة، ولا يريد تعجيل تمرير القرار، ولا فسح الخطط المبدئية التي تقرر إنتاج هذا الخط، على الأقل يتيح لنا الاطّلاع على سير الأمور لتكون لدينا فكرة عما يحدث من إجراءات! لا مصادمتنا بها! فهذا ضد حقوق الإنسان!

ولا نعرف ما الذي سيحصل إذا أعدنا انتخابه أو انتخبنا غيره، فأمور الإنتاج ما تزال مبهمة حتى الآن، حتى اللوائح التنظيمية المبدئية التي تشرِّع حق اختيار الفكرة لمثل هذه القرارات غير موجودة كما هي العادة دائما،

والأمر بات غريبا. ليس من حق أي أحد مفاجئتنا بأية قرارات أو أية أفكار ما دامت اللوائح التنظيمية المبدئية لم يطّلع الجميع عليها!

لا نعرف شيئا عن خط إنتاج الوالدين، ويبدو أن الرئيس يضغط علينا حاليا ويرهقنا بالانتظار وتضييع الوقت ليقدم لنا الوعود والآمال من أجل أن يضمن أصواتنا لصالحه. وموجة الاستياء عارمة حاليا تجاه الآباء، ويبدو أنه يحاول أن يستفيد من الجميع لإعادة انتخابه، وذلك يُفسِد مزاجي جدا.

لا أعرف إلى متى سأتحمل أبويَّ؛ فهما يضغطان علي ويتعبانني نفسيا: تعال زُرنا! تعال تناول الطعام معنا! هل تأكل جيدا؟! هل تنام جيدا؟! لماذا تسهر! متى ستعود طبيعيا، نظامك ونظامك... أنت لستَ ابننا، أنت لستَ طبيعيا... إلى آخره.

صحيح أنَّ تدخلات أبي أقلّ، لكنَّه يدعم أمي كثيرا ويتركها تزعجني بأسئلة وتدخلات شخصية لا حدَّ لها، وهي إساءة استعمال للسلطة، ونحن نطالب كمواطنين بحق اختيار آبائنا من جديد وإعادة الانتساب لمن نشاء، وأن تكشف لنا الدولة الطرق المتاحة لاختيار هذا الحق وفقا لما انتهى إليه العلماء والمختصّون الذين تبرعنا لهم بأموالنا وأجسادنا، فسواء قرروا أن يُعاد الانتساب عبر الحقن الجينية، أم عبر العمليات، أم من خلال الموجات الكهربائية أم بدمج أكثر من طريقة؛ فيجب أن نعلم كل شيء عن الطرق المتاحة وأضرارها الجانبية وعن حق إعادة الاختيار إذا ما فشل اختيارنا لهم. فمن غير المعقول أن أترك والديَّ المزعجين لأتحمل والدين مزعجين أيضا! يجب أن تكون الأمور واضحة وعادلة للجميع.

المشكلة أنني كلما حاولت تقبُّل الوضع فإنه يسوء أكثر، وعندما أحظرهما مثلا فإن الأمور تسوء على مزاجي مزيدا؛ فما تزال أمي قادرة على البكاء بشكل مؤذٍ لي يسبب لي النفور والاشمئزاز منها كثيرا.

أحيانا عندما أستمع إليها أبدأ بالتغير والانتكاس، فكلامها يؤلم صدري كثيرا فيضطرب، ولم يفسِّر لي أحد ما الذي يحدث لي وقتها؛ ففي المستشفى يسجلون الأعراض ويعطونني علاجات كثيرة، لكن لا توجد أسباب علمية لحدوث مثل هذه الظاهرة التي أشعر معها بأنَّ قلبي يتسع في صدري ويحتكُّ بأضلاعي، يحدث لي ذلك كلما حاولت التأثير على حياتي وأسلوبي في الحياة أو عندما تبكي بحرقة أمامي. وما زال منظرها وهي تبكي يؤثر عليَّ كثيرا بشكل لا أفهمه.

ما زلتُ أذكر آخر مرة حدث لي فيها ذلك؛ فقد كانت قبل ثلاثة أعوام تقريبا، وقتها اضطر الطبيب إلى أن يبعد أضلاعي عن قلبي بكمَّاشة حديدية كبيرة حتى يهدأ من نفسه ويعود إلى حجمه ونبضه الطبيعيين، فبقيتُ بقلبٍ مفتوح وأضلاع مكشوفة لأيام طويلة في العناية المركزة، وأخافني الطبيب جدا عندما أبلغني بأنَّ الكماشة التي بحوزتهم هي أكبر مقاس في العالم للتعامل مع مثل هذه الحالات، وأنهم قد يضطرون لاستعمال المنشار في حك أضلاعي القريبة من قلبي إذا ما استمر في التضخم.

لقد أرعبني ذلك حدَّ الموت!

كل ذلك حدث لي بسبب أمي، فهي تضخِّمُ قلبي لأسباب مجهولة.

هي بالطبع لا تعتذر عن ذلك ولا تشعر بي، وتقول بأنني قد تعرضت أنا وجيلي لغسيل في الدماغ، وأنَّ أجسادنا وأعضاءنا لا تشبه الأعضاء الحقيقية للبشر، وأنَّه قد جرى تشويهها لإنتاج خطوطٍ شتى مشابهة للبشر لكنها ليست بشرية!

ولا أنسى أنَّها حاولت قتلي عندما زارتني في العناية المركزة، فقد ظلت تبكي وتولول وتقول:

«أين ابني؟ أين ابني؟»

ويجيبها الطاقم الطبي: «ابنك؟ ها هو ممدَّدٌ أمامك!»

وتقول: «لا! هذا ليس ابني!»

فيقولون لها: «لو سمحتِ يا سيدة أخفضي صوتك أو اذهبي فأنتِ تؤثرين على علاجه!»

وأسمعها ترفض ذلك وتصرخ بأعلى صوتها، وكنتُ أشعر بقلبي يتضخم وقتها وأنتفض رُعبًا، وهي تصرخ وتقول:

«لا يوجد أي كائن بشري يُفتح قلبه بالكماشة هكذا لأيام، ولا يوجد من يتضخم قلبه بهذه الطريقة! ماذا فعلتم بابني!».

أشكُّ أحيانا بأنَّ أمي سيدة مجنونة. إنها تعيش في الماضي ولا تريد أن تدخل معنا العالم اليوم، وأنَّ ما تعانيه قد يبدو خرَفًا، ومع ذلك فإن الدولة التي تدَّعي فسادها لا تتدخل لعلاجها إجباريا إنما تترك لها حرية التصرف والعلاج من عدمه.

لقد كانت تفعل بعض الأشياء الجنونية حقا؛ كأنْ تقوم بإغلاق أذنيها بشدة وهي تغمض عينيها، ثم تهرب وهي ترتطم بالأشياء، وذلك حين أفتح جهازي على الأخبار أو أية مقاطع، وكانت هذه هي طريقتي الوحيدة في تنفيرها مني لتتركني وشأني. ومهما ترى بأمّ عينيها فإنها لا تصدقه، لذلك فالحوار معها صعب جدا.

تزعجني بترهاتها بحجة أنني ابنها، لكنها تصرخ بي وبأطبائي إذا تضخم قلبي وأسمعها تقول: «هذا ليس ابني! هذا آلة!»

هل يوجد إنسان عاقل يقول بمثل هذا التناقض!

هي لا تعلم أنَّ جيلها والأجيال القريبة منها يعطلون التقدُّم، وأكاد أجزم أنهم يضغطون على الرئيس في تأخير القرارات التي نودُّ أن تحصل. إنها قرارات ضرورية وتمس الحياة الجوهرية لنا، لكنه يعطِّل تمرير القرارات ويجعل أصواتهم ومطالباتهم المجنونة تتعالى مزيدا ومزيدا، لكنَّهم لا يقدِّرون احترام البلد لتوجُّهاتهم وأفكارهم وينغِّصون حياتنا بالمزيد.

في إحدى المرات؛ عطَّلوا خط إنتاج العشيقات، وتسببوا بفوضى عارمة جعلت البلاد تحت قانون الطوارئ لأشهر، حتى حُجب هذا الخط نهائيا؛ فجيلها الذي يتمسك بالأفكار المؤامراتية ونظرية غسيل الدماغ واللقاحات والشرائح الألكترونية داخل الأجساد التي صارت شبه مصنوعة... إلى آخر هذا الهراء؛ جيلٌ قد أحرقَ المصانع والموانئ وورَّط البلاد في مشاكل عديدة. صارت بلادنا بلاد فوضى بسببهم! إي والله... البلاد المتقدمة المتحضرة صارت إرهابية لفترة! الحمقى المجانين!

والآن بات من العسير عليّ الاستئناس بصحبة بفتاة وفق خط إنتاج معين يضمن لي حقوقي النفسية والمزاجية ورغبتي في امتلاكها لفترة قصيرة وحسب، وكل ذلك بسببها وبسبب جيلها.

أنا مضطر الآن كلما أردتُ معرفة فتاة أن أدخل في مقدمات وخدع كثيرة حتى أحصل عليها، وقد أخسر الكثير قبل أن أبدأ معها أي شيء أحبه.

من الذي قد غُسِل دماغه فعلا إن كنا نتحدث عن غسيل الدماغ؟!

أين المشكلة في امتلاكي لوسيلة تحقق لي المصلحة والمتعة وفقا لرغبتي وإمكاناتي؟ أذلك أفضل أم مواعدة فتاة لا أعرف ما صفاتها وما مزاجها ولا أملك أي سلطة عليها؟ هذا ضد حقوق الإنسان...

العالم صار مملّا بهم وبسببهم، ذلك الجيل الغبي!

يصعب التعايش مع هذه الأفكار التقليدية البائسة. وكلما استمعتُ لها ولبكائها فإنَّ شيئا في قلبي يتغير رغما عني حتى يتضخّم فأضطر للبقاء في المستشفى طويلا، ولا أحد يستطيع تخليصي مما أنا فيه. قال لي طبيب يوما: فلنتعامل مع هذه الأمور كأنها حالة تحسُّس ولتبتعد عن مسببات الحساسية. وأنا أفكر في كلامه بين الحين والآخر وفي داخلي قناعة برأيه وبضده، المهم أنَّ تلك المرأة تشوِّشني! مكتبة سُر مَن قرأ

في مرة من المرات حاولت اختطافي! إي والله... إنها مجنونة... عندما علمتْ بأنني أتعب ويتضخم قلبي رغما عني حاولت اختطافي بحجة أن المستشفى يعيد تهيئتي بعد أن فتحتْ ثغرةً في نظامي ببكائها!

إي والله هذا كلامها! وهل أنا جهاز لتستطيع اختراقي؟

وبماذا أُخترَق؟ أبالبكاء؟ هل يمكن اختراق الجهاز بالبكاء؟

جنونها يضحكني أحيانا رغما عني...

المهم أنها حاولت اختطافي لتعالجني في منزلها لكي أعود إنسانا طبيعيا كما تقول. لكنني هربتُ قبل أن تتمكن من حبسي بمعيَّة والدي، ولم أعد أقبل بالدخول إلى منزلهما، وهذا سببٌ من أسباب الاستياء العارم من الآباء حاليا، ذلك الجيل الغريب انتشرت بينهم نظرية مفادها أننا مغسولين دماغيا وملوَّثين جسديًّا، وتبعا لذلك فنفسياتنا آليّة لا تشعر! وعليهم إعادة ضبطنا بالخطف وبكثرة البكاء والاستعطاف، وحبسنا وربطنا وتجويع أجسادنا لأشهر مع إدخالنا حميات إجبارية لطعام عضوي حتى تنظف أجسادنا مما وُضع بداخلها، وأداء عملية جراحية صغيرة للمخطوف تبدو بدائية حيث يضعون شيئا كالكوب الصغير على أماكن معينة في الجسم، وبعد أن يتجمَّعَ فيه الدم لدقائق؛ ينزعونه ويشرِّطون المكان بإبرة صغيرة، ثم يعيدون الكوب

ويضغطونه ليخرج الهواء منه، ويشفطون ويشفطون حتى تتجمع الدماء في الكوب! هذه الممارسة التي يسمونها علاجا تقوم بإعادة ضبط أجسادنا عبر إخراج السموم واللقاحات منها، وكل من يُفعل به ذلك يجب أن يخضع لنظام غذائي معتمد على الطبيعة لتعود صحته كما خُلق... لذلك هم يمتلكون مزارع شتى في البلاد ذات مساحات رهيبة، بعضهم يقيم بها ولا يخرج إلا للضرورة، وبعضهم يكتفي بمكانه هذا فيقطع تواصله مع العالم الخارجي، ويقوم بتعليم أبنائه تعليما منزليا. وهم يصنعون غذاءهم بأنفسهم، وتبعا لذلك فهم يمتكلون قوة باستقلالهم النسبي عن البقية، وصاروا يصدِّرون المنتجات العضوية ويوظفون عددا رهيبا من العمال، فلا يمكن الاستهانة بقوتهم. لكن مخططاتهم كُشفت من الرسائل التي يتناقلونها والتنظيمات التي يدخلونها من أجل خطف أبناء بعضهم البعض لينضموا لمحميَّتهم الرجعية بالإكراه.

إحدى تلك التنظيمات أضحكتني، شعرتُ بأنني إزاء مسرحية هزلية قديمة عندما قرأت بنود عملها، كان اسم التنظيم «وحدة إعادة تنظيم العقول» ولا شيء من لوائح تلك الوحدة عقلاني البتة. خطف وحبس وترهيب وتجويع ثم يقولون إعادة تنظيم العقول! جيل أحمق.

في إحدى المرات عندما حظرتُ أمي من كافة أشكال التواصل، هاتفتُ وحدة النقل السري لتنقلني في غضون ساعتين إلى منزل آخر، فلم أكن أود رؤيتها. وتلك الوحدة قد تم إنشاؤها تحت ضغط شديد من الأبناء والمتضررين من الجيل المجنون، فعملها يتركَّز على نقلنا إلى منزل آخر بسرعة، ثم تنسيق بقية أمورنا الأخرى المتعلقة بتحديث معلومات السكن والفواتير وما شابه بسرعة أسطورية، فلا نعاني جراء الانتقال إلى مكان آخر كما يعاني الناس في السابق.

هذا النظام البديع السريع يريد الجيل المتعفِّن الغبي حرماننا منه!

آه! إنني أتوق إلى تعجيل تمرير القرارات الخاصة بإنتاج خط الوالدين أكثر من توقي لأي شيء آخر في الحياة؛ لأتحرر من ضغوطاتي النفسية حقا مهما طال غياب منتج صديق، ولعلي كنتُ بحاجة إلى ذلك أكثر من حاجتي لشراء منتجٍ أعلم أنني لا أود الاحتفاظ به لفترة طويلة أبدا...

وها أنا أُسجِّل في هاتفي كل ذلك نهاية اليوم؛ لفرط حاجتي للكلام مع أي أحد، لكنني صرختُ اليوم كثيرا، فلا حد لسوء مزاجي أبدا.

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود
telegram @soramnqraa

3

الإنسان المسلوب

أثناء مراجعتي لحالة تضخُّم القلب التي تسبِّبها لي أمي دائما؛ لم أصل إلى تشخيص محدد حول حالتي. أحد الأطباء رجَّحَ وجود حساسية نادرة في استجابتي العصبية للكلام لكنني لم أقتنع؛ فدليل الحساسية والمراجع الأساسية للحالات المصابة بها على مرِّ التاريخ لم يحلني إلى حالة شبيهة بحالتي؛ فلا توجد حساسية ضد الكلام مع إنسان! هذا محال!

المهم أنني لم أستطع التخلص من أمي مهما غيرتُ مكان سكني ومهما قمت بحظرها من التواصل معي؛ فقد كانت تجدني دائما مهما اجتهدتُ في ابتعادي عنها.

وما زاد الأمر تعقيدا تعلُّقي بفتاة تعرفت إليها أمي، إنها مجنونة قليلا، واكتشفتُ جنونها حين كنا نجلس في مطعم وأتينا على ذكر ما يصيبني بسبب أمي، شكت لي من أمها كذلك، ونصحتني بألا أتجادل مع أمي، لكن ما كنت أشتكي منه مختلف ولم تفهمني جيدا.

بعد ذلك وهي تتناول طعامها بخفَّة وجمال، نظرتْ في عينيَّ طويلا وهي تفتح فمها ببطء وتعبث بطرف الملعقة بلسانها، ابتسمت لي ابتسامة رائعة أخذت عقلي لفترة طويلة وأنا أفكر بها، ثم طلبت مني أن ترى الندبات جراء الكماشة، فقلت لها: لا توجد بي أية ندبة، لكنها لم تصدقني حتى خلعتُ

قميصي وأريتها صدري كاملا وجوانبه، فوضعت كلتا يديها على فمها وهي تشهق، وقالت: لم أتوقع أنك مسلوب!

لقد صدمتني بقولها هذا، لماذا تُطلق عليَّ مثل هذه الكلمات! إنها كلمات لا يجب أن تصدر من فم فتاة جميلة أعرفها، وكان عليها أن تبقى في شفاه أولئك المجانين من الأجيال الحمقاء التي تكره الحياة؛ تلك الأجيال التي ترى أننا تعرضنا لغسيل الدماغ... إلى آخره كما هي آراء أمي، فلا معنى منطقي للكلمة، أن يُسلَب منا جزء من بشريتنا فنُسمَّى مسلوبين!

وإن كنا مسلوبين إذن؟! فما الحل وماذا نفعل؟! أو ماذا يجب أن يُفعل بنا؟! كلام فارغ بالطبع...

وقد سخرتُ منها وقلت:

أنا مثلك يا فتاة إنسان عادي!

ألا تريننني آكل معك وأشرب وأبادلك الأحاديث؟!

هل أكلتك؟ هل عضضتك؟ هل شعرتِ معي بأي شيء غير آدمي! بالطبع لا؛ فلم تشكّي بي قبل ذلك إلا حين أريتك جزءا من جسدي، وهذا يعني أنَّ الرأي الذي تؤمنين به فارغ!

لكنها مثل أمي، الكلام معها صعب وإقناعها أصعب، قالت لي بأن أيَّ إنسان بشري يتعرض لعملية خطيرة - كما تعرضت أنا - فسوف تترك في جسده آثار ندب كثيرة لا يمكن أن تزول ببساطة. لكنَّ جسمي الذي تمَّ تلويثه يتخطَّى الآثار بسرعة عجيبة!

أجبتها ببساطة وعفوية:

«أنا مصاب بحساسية ضد الكلام الغبي من ذلك الجيل، والحساسية كما

تعلمين عندما تزول فإنها لا تترك آثارا!» أجبتها بذلك وأنا أدرك أنّ كلامي مجنون في منطقنا، لكنه علمي بحت: الحساسية لا تترك آثارا إذا زال السبب - غالبا.

وماذا أفعل غير قول هذه الحجة! لقد أُجبرت لأول مرة على الاستعانة بها لأدافع عن نفسي، فعندما يكون الرجل مع امرأة تعجبه فيجب عليه أن يحافظ عليها حتى لو ناقَضَ نفسه. المهم أنها ما إن سمعتني أتفوَّه بمثل هذا الحديث حتى ماتت من الضحك، وتركتني وغادرت الطاولة دون أدنى كلمة. كانت تقهقه بطريقة مجنونة أحرجتني بها بين الناس فأقسمت ألا أكلِّمها بعد ذلك. بل إنها لم تكتفِ بذلك؛ لقد هجرتني تماما حتى تسبَّبتْ بتضخُّم قلبي مجددا!

لقد تعرفتْ عليها أمي ولا أعرف كيف، لكنها أخبرتها عن مكان سكني الجديد، وقد تهاوى قلبي عندما رأيتها واقفة ببابي وقد جمعتْ أغراضي في سلة وأتت بها وودعتني. شعرتُ بقلبي يتضخم بعد ثلاث سنوات من التعافي وهذه المرة طلبتُ من الطبيب أن يترك الآثار بي مهما كلف الأمر؛ لئلا أتعب مرة أخرى من أجل موضوع سخيف عن نظرية آليَّتي وبشريَّتي والتناصف بينهما إلى آخر هذا الهراء الذي لا ينتهي بسبب ذلك الجيل المجنون الأحمق.

بعد فترة من التعافي؛ يبدو أن أمي أرسلتها إليّ لتحاول تغيير أفكاري كما تفعل دائما، فكانت تتحدث بشكل يشبه حديث أمي وتبكي وتنوح لتفتح ثغرة في نظامي كما يقولون، لكن ما إنْ رأيتها تتصرف مثل أمي حتى أغلقت كلتا أذنيّ وهربت، مع أنَّ قلبي كان يقول لي كلاما مختلفا عن هذه المرأة تحديدا.

كنتُ أشعر بأنني سعيد معها، وأنني أرغب بالبقاء حولها طيلة الوقت، هي الإنسان الوحيد الذي لم أشعر معه بالملل، وبعد رحيلها أسرفتُ في ابتياع

منتجِ صديق، ولكنَّ أحدا لم يسد محلها، وفراغها بي هائل، مع أنني لم أتعرَّف كثيرا عليها، ولم أعرف كثيرا من صفاتها وطريقة تفكيرها. لقد قلبت نظامي كله إن كنتُ بشرا وإن كنتُ آلة أو أي شيء... المهم أنها فعلت ما لم يفعله أحد بي قبل ذلك.

إنها تملك عينين ساحرتين، ليست جميلة كالدمى لكنَّ رؤيتها تجعل من قلبي منسجما مع الحياة، كأنني أخذت حبة النشاط؛ تلك التي تبقيني في حالة جيدة ونشيطة وسعيدة تقريبا.

كان النظر إلى وجهها يريح قلبي، وصوتها يشعرني بالارتواء كأنني شربت الماء النقي البارد بعد عطش شديد. هل يمكن لإنسان أن يُحِدث كل ذلك؟!

آه... أشعر بأنني عندما أحضنها فإنني أملك كل شيء بالعالم، كل شيء... مع أنني أملك المال الكثير الذي أستطيع به شراء أي شيء، لكن ما أشعر أنني أمتلكه بسببها مختلف، ولا أعرف كيف أصف ذلك.

حتى أنفاسي لاحظت بأنها تكون عميقة حين أفكر بها أو أكون معها؛ كأن أنفاسي تشهق الكون كله، ومازلتُ أفكر بها بين الوقت والآخر لكن أخشى أن يباغتني تضخم القلب؛ فأقوم من مكاني لأفعل أي شيء يشتّت تفكيري بها، ويبدو أنّ هذا من تأثير أمي السيئ علي وتدخلاتها فيما لا شأن لها به، ظلّت ترسلها إليَّ حتى صعَّبت عليّ الموضوع. ولا أعلم لمَ تأتيني باستمرار مع أنها هي التي تركتني وهي تهزأ بي.

كم أود الآن أن أمسك بيدها وأمشي في أي مكان، إن أمرا بسيطا كهذا كان يجلب لي السعادة كما لا يجلبها أي أمر آخر.

كنتُ لا أرفض لها طلبا، وكانت تدللني كثيرا. هي تمتلك ذلك الأسلوب الساحر في العناية والاهتمام بمن حولها.. آه.. لا أعرف كيف أعبر عنها! ولو

كانت أمي موجودة وهي تسمعني أتفوَّه بمثل هذا الحديث لبكت وولولت وهي تقول: «كنتُ أعلم أنهم غيَّروك فأنت لا تستطيع التعبير عن مشاعرك ولا تقدر على وصفها لأنك لا تشعر كالناس»، وأنَّ خللا حدث لي فما زالت بعض المشاعر تعتريني لذلك يتضخم قلبي لأنّ عطلا ما حدث في نظامي. وهذا الكلام يجعلني غاضبا جدا! هل يوجد هناك أُمّ تقول لابنها الذي أنجبته مثل هذا الكلام؟!

لذلك فأنا لا أفاتحها بأية تجربة أمرُّ بها، ولا أرغب بنصحها ولا في الحوار العادي معها بعد أن حاولت اختطافي كالمجرمين.

أفضّلُ الحديث مع أصحابي؛ وهم يرون بأنني لم أخرج مع فتيات كثر؛ فطبيعي أن تحظى تلك الفتاة باهتمامي الجمّ. ولكن مشكلتي أنني لم أعد أرغب بقضاء الوقت مع غيرها، فأجد نفسي دائم التفكير بها، حتى تقف بي خطوتي عند بابها، أو أنتبه فجأة إلى أنني صرتُ قريبا من بنايتها. أشعر وقتها بأن قلبي يدق حتى يكاد أن يخرج من صدري، وأتعرَّق كثيرا كأنني مريض، وأحيانا عندما أنتبه إلى أنني صرتُ قريبا منها أُصاب بالدوار.

في إحدى المرات نقلوني إلى المستشفى وقبل أن أفتح عيني تفوَّهت باسمها: «7أ.. سبعة.. سبعة»، وعندما فتحتُ عيني سألتهم مباشرة: هل تضخم قلبي؟ فأجابوني: «لا، ولكنك تعرضتَ لدوار مجهول السبب، وكنت تنادي فتاة اسمها سبعة». ومع أننا جميعا نمتلك أسماء جديدة تميِّز الأجيال المتأخرة، وتكوين الأرقام مع الحروف يحمل دلالاته بحيث يرتبط بكثير من المعلومات التي تحتاج إلى تصنيف... إلا إنَّ اسمها (سبعة) كان مذهلا، كانت مذهلة في كل شيء حتى في الاسم...

المهم بعد أن تدهورت صحتي وأُصبت بالدوار لأول مرة، كانت هذه المعلومة غريبة عني وعن ملفي الصحي، ولا يمكن أن تمرَّ الموضوعات

مجهولة السبب هكذا دون تحليل مع جيلنا الذي توليه الدولة أهمية كبرى؛ فقد أتتني وحدة التنظيم الجديد تلك التي أُنشئت لمتابعة الحالات التي تتعرض إلى انتكاسات، لترصد بدايات التغيير عند الناس وتنتبه إلى وجود أية أمراض يمكن أن تنتشر بينهم، ولم يُفسح لهذه الوحدة العمل إلا بعد ثبوت بعض المحاولات للغزو الفضائي الذي يؤذي الحالات الفردية، ويبدو أنهم يجربون غزوهم ومدى جدواه قبل أن يهجموا جماعات علينا، والسلطات تحذر وتنتبه إلى مثل هذه التفاصيل من أجل دعم دفاعها عن الأرض، على الأقل في نطاق دولتنا.

وما حدث معي هو الانخراط من فحص إلى فحص، وقتها تذكرت أمي لكنني ضحكت في سري عندما كانت تقول لي: «ثغرات في نظامك!»

المهم أن هذه الوحدة لم تتركني إلا وقد سألت عن ألف شيء يخصني، حتى كتبت عني ملفّا كاملا بالأعراض التي تصيبني بها يخصُّ هذه الفتاة، وأعطوني دواء سبب لي صداعا أليما بمجرد أن أخذته لثلاثة أيام، والغريب أنه قد كُتب عليه فيتامينات!

عندما أخبرتُ الطبيب بأنني لا أحتاج إلى أخذ أية فيتامينات؛ أجابني بأن هذا النوع من الفيتامينات تحديدا يقوّي مناعتي ضد الكلام! الأمر الذي لم يقنعني من قبل ولا من بعد. وأخبرني بأن جسمي يحتاج كل فترة إلى مثل هذه الوصفة ضد الدوار ونوبات التعرق والخفقان التي تعتريني عندما أفكر بالفتاة.

والغريب أكثر أنَّ هذا النوع من الفيتامينات لا يُباع إطلاقا، ولا يُوزَّع إلا من قبل الدولة! لكنني لم أستطع الاستمرار بتناوله، فالصداع الذي سبَّبه لي لا يُوصف بأي ألم آخر حتى وإن كان الألم كمَّاشة القلب، إنه صداع يقلب حياتي إلى جحيم، وشعرتُ بأنه يغيِّرني فعلا كمن يهجم علي! فهجرته تماما

بعد أخذ ثلاث جرعات منه، وتركتُ المتبقي منه على الرفّ في غرفتي، ومن عادتي أنني أضع رفوفا كثيرة في الممرات والغرف. تعجبني الطريقة التي يوزِّعون بها الأمور في المنتجات، وأردتُ أن أوزّع أمور حياتي في المنزل بمثل الطريقة الشفافة الحديثة.

بعد أن استقرت حالتي قليلا وبدأتُ بالعودة إلى العمل؛ رجعتُ في أحد الأيام باكرا فوجدتُ الباب مفتوحا. لم أندهش كثيرا فمثل هذه التصرفات كنتُ أقوم بها وقت تعلُّقي بالفتاة، أخرج بلا شعور وأمشي بلا انتباه وأقوم بتصرفات بلهاء عندما تأتي في بالي. وتركي للباب مفتوحا ليس بمستغرَب.

عندما دخلتُ إلى المنزل ووجدته على حالته؛ اطمأننتُ إلى رأيي وعلمتُ بأنني أنا من تركه مفتوحا لا محالة.

بعد أيام من تلك الحالة استيقظت على صوت غريب، وعندما قمت من فراشي لأبحث عن مكان الصوت وجدتُ صديقي 35م متعلّقا بالنافذة! لقد تسلّق سُلَّم النجاة وأشار إليَّ بيديه أن أسكتَ ولا أتحدث! وأن أقابله في المقهى القريب الآن دون حمل أي شيء تقنيّ، ورسم صورا عليها خط أحمر كأنه يقول بها: ممنوع الساعة، الهاتف، القلم الذكي، البطاقات البنكية والشخصية ونظارتي وكل شيء ما عدا ملابسي وحذائي!

كتب ذلك على لوحة، وهو أمر غريب حقا لم يسبق أن حدث معي، وشعرتُ بأنني أحلم!

نظرتُ إلى ساعتي ووجدتُ الوقت مبكرا قليلا على الذهاب إلى العمل.

غسلتُ وجهي ونظفت أسناني وارتديتُ ملابسي بعد أن كويتُها بالرذاذ في ثوانٍ، ثم جلست قليلا على الأريكة، وقطَّرتُ في كأسين من الماء قطرتين تقريبا من الماء الرقمي المميز الذي يمدُّ شاربه بالصحة العامة، عبثت بالكوب

قليلا وأنا أفكر بصديقي المجنون وبما فعله؛ فقرَّبتُ منه القطعة الممغنطة التي أعلَّقها دائما في كومة مفاتيحي؛ فانجذب الماء كله ناحية القطعة... وظللتُ أعبث بالماء قليلا وأنا أفكّر، وهو يتحرَّك معي كله في يمين الكوب وإلى الأعلى، وظللت أرقب الماء وأنا أبعِدُ القطعة وأقرّبها لدقيقتين تقريبا متأملا مدى قوتها في جذب ذلك الماء العجيب...

شربت الكأسين بلا إفطار، ثم خرجتُ من المنزل وأنا لا أفهم أي شيء ولا أفكر في أي شيء.

عندما دخلت المقهى وجدتُ صديقي ما زال يشير إليَّ بلوحة أخرى تنص على ألا أتحدث إطلاقا وأن أنظر فقط في الدفتر.

كم هو مجنون صديقي 35م !

لقد كتب لي أشياء كثيرة بخط باهت جدا لا يكاد يُرى، وأنا لم أُحضر نظارتي معي، لكنَّ أغلبها كان عبر الرسوم لأفهم سريعا، وأوصاني بمسحها وتمزيقها في آلة تمزيق الأوراق وعدم الاحتفاظ بها نهائيا.

أشار إليَّ بألا بأس في أخذها معي إلى المنزل، لكن ما هو مكتوب في الأوراق ممنوعٌ الحديث عنه مع أي أحد، وأن عليَّ الكتابة إليه بمثل طريقته إن أردتُ سؤاله عن أي شيء.

صديقي 35م ماهر جدا في الرسم، يرسم الفكرة بطريقة مبهرة، وقليل من يجيد رسم الفكرة. وقد رسم لي حالتي مع الفتاة والأعراض التي تصيبني جراء الحديث عنها، ثم رسم وصفة الدواء (الفيتامينات) التي صرفوها لي وما تفعله بي، وفي الرسوم تشويه لأطبائي الذين راجعتهم كلهم! تبدو أشكالهم قبيحة ومتآمرة، ووجوههم مرسومة كما تُرسم وجوه السحرة في الحكايات الخرافية وبعضهم كالجنود، وقد رسم لي رسما مستقبليا لحالتي

وكيف ستكون عندما أستمر في أخذ الفيتامينات، إنه أمر جنوني!

سألته بعد أن رأيت كل هذا الجنون: هل تحدثت مع أمي؟

تجاهل سؤالي ببرود...

يعمل 35م في إحدى الصحف المناهضة لأعمال وحدة التنظيم الجديد؛ فهي تجد أنها تنتهك حقوق الإنسان في ممارساته اليومية وفي معلوماته الشخصية المتعلقة بتفاصيل حياته، وفي توصياتها كذلك لأنها تجرّب الأدوية على الناس من دون معرفتهم أو موافقتهم، أو تعيد ضبط بعضهم ممن يوجد بهم بعض الخلل، وأنا منهم في نظر 35م!

لم أكلف نفسي عناء إقناعه، ولم يحاول إقناعي، فنحن نتجنَّب خوض مثل هذه الأحاديث مع بعضنا لأن الكلام في هذه الأشياء غير مفيد.

أعرفه منذ كنتُ صغيرا، فقد درسنا جميع المراحل الدراسية كلها سويًّا؛ لذا فأنا أحافظ على علاقتنا، وأستطيع أن أثق به.

وقد قرَّر أن يأتي ويخبرني لأنّ أمي حضرت إليهم بقصة جديدة فارتبطت لديه المعلومات ببعضها، والآن أنا والفتاة أبطال قصته الجديدة، وعلمتُ أنَّ أمي كانت تدخل شقتي باستمرار دون علمي! وهذا ما فاجأني كثيرا، ويبدو أنّ الفتاة أعطتها المفتاح، فالاثنتان قد تآمرتا علي دفعة واحدة!

وقد رأت أمي الفيتامينات المصروفة لي، وعندما حلَّلتها في مختبرات أولئك المؤمنين بنظرية المؤامرة - الذين لا يثقون بمختبرات الدولة وأجهزتها - وجدوا فيها ما يؤكد نظريتها عن المؤامرة ونظرية استلاب الناس الذين أنا منهم.

حذرني صديقي من الفضيحة التي أوشك أن أدخلها بسبب هذا الموضوع، وأوصاني بالاستعداد إذا ما انكشفت الأمور أو أن أختبئ...

لكنني مبدئيا سيظل اسمي واسم أمي طيّ الكتمان.

المهم أنّ الدواء صُرف لي قبل فترة، وكانت فيه ثلاثون حبة، وهو غير قابل للصرف مرة أخرى، وعندما نظرتُ في التقويم وجدتُ أنني قد أتممتُ الشهر، ومن هنا لا أحد سيحاسبني على شيء، سأقول إذا ما سُئلت: أخذته كاملا ولم أجدد الوصفة ولا علم لي بما يجري.

هذا الحدث سبب لي تشويشا هائلا، ولم أصدق شيئا منه ولم أكذّب، وبقيت أترقَّب الفضيحة وإلامَ ستؤول الأمور وكأنني لستُ معنيّا بكل ذلك، إلا أنَّ حيزا كبيرا مني كان في راحة قصوى جراء تركي للدواء. لقد كان الصداع هائلا ويفوق قدرتي على الاحتمال، وإلا فإنني كنتُ سآخذه دون أن أهتمَّ لأيّ من هذا الكلام في الحقيقة.

وجدتُ نفسي أتساءل آخر هذا النهار: هل سيُتاح لي امتلاك منتج صديقٍ نجمي قريبا لأتخلص من هذه التسجيلات لأهمٍّ وأبغض ما أواجهه وما يجيء في ذهني طيلة اليوم؟

أنا مستاء ومشوَّش جدا...

4

المتجر مجدَّدا

لقد رجعتُ بعد أيام إلى المتجر القريب من منزلي، وسألته عن منتج صديق لشدة احتياجي إليه في هذه الفترة، لكن رفَّ اليوم كان فارغا منه أيضا، وشعرتُ بأنني في حالة يُرثى لها من تعطُّشي إليه، حالة رهيبة حقا أبقتني حزينا ومتعلِّقا بالحصول عليه بشكل غريب لا يسد محله الأصدقاء العاديون، فوجود عامل السلطة على المنتج والخصوصية وإمكان التخلص منه في الوقت المناسب لي؛ كل ذلك يجعلني أشعر بالراحة والسلام تجاه قضاء الوقت مع المنتج لا الصديق العادي الذي لا أستطيع التحكم به ولا بلسانه، ولا أستطيع التخلص منه كذلك كما ينبغي.

ثمة أشياء لا تُقال إلا للعابرين، مع أنني أفكر أحيانا بقضاء وقت أطول مع صديقي 35م، وقت يعوضني قليلا عن فقداني لمنتج صديق.

لم ألتقِ بصديقي بعد حضوره الغريب إلى منزلي، واكتفيتُ بتكرار قراءة ما كتب لي مرارا حتى حفظته داخل عقلي ثم محوتُ كل شيء كما نبَّه علي وأتلفته.

لم يتوفر منتج صديق بعد، لكنَّ صاحب المتجر أبلغني باستعداده لتوفير واحد مستعمل. رفضتُ عرضه لأنني لا أحب أخذ شيء استعمله غيري.

قضيت الوقت بعد ذلك أمشي طويلا حول الحيّ وأنا أفكر بالفتاة وفي أمي وفي كلام صديقي ومزاجي سيئ جدا. تراكمت بعض الأشياء

ولم أستطع قولها في وقتها، كما أنَّ كل من يعرفني بحق يحاول قول شيء لي يظن أنه في مصلحتي لكنني أرفضه. كلهم يرفضون رؤيتي على ما أنا عليه ويصرُّون بأنني لست أنا بل شخص آخر غير طبيعي، ومع ذلك يرفضون تركي في حالي، حتى أضجروني من هذا الموضوع برمته.

هذا التفكير الذي يتمسكون به تسبب بهجرة الناس إلى الأرياف والأماكن النائية، وبرفضهم لكل الأدوية واللقاحات التي يقرّها النظام الجديد، ويفضلون القيام بالأمور البدائية والعادية على الأمور المتطورة، وكثير منهم أخرج أبناءه من التعليم العام واكتفى بالتعليم المنزلي، فصارت أعمالهم خاصة وشخصية ولا يحتاجون إلى الخدمات التي تبذلها الدولة للمواطنين غالبا.

لقد سببت هذه الأفكار حالة هلع قصوى في الناس، فهجروا منازلهم في المدن، أغلقوها وتركوها حتى يتغير الحال، لكن الوضع استمر وتطور بدرجة كبيرة، فصاروا متخلفين عنا أكثر.

لم أحاول تفهُّمهم فهم أبعد ما يكونون عن العقل، لكنَّ تفكيري بهم اضطراريّ بسبب ما تفعله أمي بي. وعندما أفكر في توجهاتهم وفي أفكارهم التي بنوا عليها آراءهم أجدها هشة؛ فماذا يعني أنني أتحدث لغة آليَّة؟ وماذا يعني أنني لا أشعر بأية مشاعر إنسانية؟ وماذا يعني أن جروحي لا تسبب آثارا أو أنَّ عمري يمكن أن يكون طويلا؟ أسباب هشة جدا.

وإن فكرنا بأنها معا لها معنى فهي تحقق نقطة لصالح النظام الجديد الذي استطاع تحسين مستوى الإنسان وحياته وصحته. وأنا أود أن أكون بلا نُدب تشوهني، وأن تكون صحتي جيدة، وأن يطول عمري فيمتد إلى مئتي عام كما قالوا، ولو لم تتضح عليّ علامات الهرم فذلك أفضل أيضا، فعلى رأيهم بأنني والمسلوبين مثلي إذا لم نمت في عمر قصير من جراء تجاربهم فإننا

سنعيش طويلا لقرابة مئتي عام دون أن تتراجع صحتنا أو نتعرض لعلامات الشيخوخة وآثارها. عموما هو شيء جيد ولا أمانعه. من يريد الموت في سن السبعين أو الثمانين وهو مستنزف من الشيخوخة وأعراضها؟ ومن يود الموت بتقدُّم السن وعلاماته؟

ذلك الجيل المجنون يثير حنقي أكثر من دهشتي! ولذلك أود شراء الأصدقاء!

في طريق عودتي إلى المنزل مررتُ بمتجرٍ لطيف يوفِّر النباتات الجديدة وفق خط إنتاجٍ معدَّل؛ الأمر الذي شكَّل قفزةً في خطوط الإنتاج الحديثة فقد صار بإمكاننا شراء النباتات بالطريقة التي نحلم بها كما في الرسوم الكرتونية تماما!

كان على رفِّ اليوم نبتة لأول مرة أشاهد جمالا كجمالها، نبتة ممشوقة القوام على شكل جسد أنثى شهيّ جدا، تتفتح في أماكن أنوثتها الأزهار البديعة النضرة باللون الزهري الذي يتداخل معه اللون الأبيض قليلا، وتنساب منها الأوراق الطويلة الخضراء ذات الحواف الفاتحة كشعرٍ حريري من الخلف فيغطِّي ظهرها كله حتى أسفله.

لم أقاوم تلك النبتة المغرية فقد كانت بديعةً حقا، وما أعجبني فيها أنها لا تحتاج إلى الماء كثيرا بقدر ما تحتاج إلى الكلام!

لقد كان قوام حياتها ونضارتها التحدُّث معها قليلا... يا إلهي ما أجملها وما أجمل فكرتها!

لقد بدأت أتحدث معها كلما سنح لي ذلك وكنتُ مستعدا للكلام، ولاحظت أنها كلما امتدَّ حديثي وزاد فإن أماكن أنوثتها تشتدُّ وتبرز وتصبح أجمل ولونها يزداد نصاعة...

لا يمكن أن أجد نبتة أكثر منها جمالا... وقد تحسَّنَ مزاجي كثيرا بامتلاكي لها، ونسيت أن أُسجِّلَ شيئا اليوم لولا أن تداركتُ ذلك قبل أن يغمض جفني وفتحت هاتفي وسجَّلتُ القليل... لا أعلم ولكنني أحببتُ فكرة أن أكون صديق نفسي مؤخرا وأن أُسجِّل الملاحظات لي وحدي... على الأقل أعيد الاستماع إلى بعض الأشياء التي تخصُّني إذا قلقت في ليلةٍ ما.

لعلَّ ذلك الأمر يخفف من حاجتي لامتلاك منتج صديق... لعلي في الطريق إلى الشفاء... أليس هذا ما يفعله الأطباء النفسيّون؟ الكلام ثم الكلام ثم إعادة الكلام!

5

العين المحتلَّة

هذا اليوم يسيء إلى مزاجي أكثر، خرجتُ إلى وسط المدينة لأشعر بقليل من المتعة في هذا الجو اللطيف، لكنني كنتُ منقطعا لأيام عن متابعة الأخبار ولم أعلم بأنَّ اليوم قد جرى إيقاف أشعة الشمس عن الوصول إلى مدينتنا. لقد نشروا تلك القبة المزيفة وعوَّضوا المدينة بالطاقة البديلة بسبب مطالبات البعض بالاستمتاع بالجو قليلا دون أن تحرقهم أشعة الشمس التي ملَّوا منها، وهذا وجه من الوجوه السيئة للبلدان المتقدمة، إذ إنها تنصاع للمطالبات الجماهيرية بكل حياد، السبب الذي يجعل من العيش هنا أمرا رائعا في أغلب الأوقات؛ فيوم لك ويوم عليك كما يقولون، وهذا اليوم يبدو أنه عليَّ كالأيام التي سبقته.

كان في ودي الاستمتاع بأشعة الشمس الحقيقية، لكن لا بأس بالوضع، فالجو ما يزال بديعا لكن بدرجة حرارة أقل من الأيام القليلة السابقة، والساحة مكتظَّـة بالناس الذين يأخذون إجازة نهاية الأسبوع معا في أنشطة متنوعة.

وأنا في وسط تلك الأجواء البديعة؛ تمنيتُ الجلوس مع منتجِ صديق، وبدأت أتذكر بعض المنتجات التي ابتعتُها ثم فرَّطتُ بها. لو أنني أمسكت على أحدها لما شعرت بالوحدة الآن.

الساحات من حولي نظيفة وهادئة على ازدحام الناس فيها، والأمن مستتب ولا توجد أية حوادث؛ فلا سرقات ولا اصطدامات ولا نزاعات، إنها مدينة وادعة وأنا سعيد بالعيش فيها، والناس فيها سعيدون كأننا في حُلم، هكذا يقول الجيل المجنون عن الأشياء التي يحبونها ويتخيَّلونها بأنها (حُلم)، ويقصدون بذلك نوع خاص من الرؤية متعلِّق بالنوم، أي أنَّ الناس يرون بعض الأشياء وهم يغمضون عيونهم! إي والله! هكذا يقولون! ولا أعلم إن كان هذا حقيقيا أم لحظة من لحظات التمرد التي يعلنون بها اختلافهم عنا بفوقية، أو أنه شيء سياسي، أو أنَّه نوع من الكلام الكذب الذي يسمونه أساطير، والجيد أنني لستُ مضطرا على الالتفات لمثل هذه الحكايات. أنا مطمئن إلى حياتي لولا تدخُّلات أمي كل فترة...

يقولون إنها حكايات وموضوعات مهمة في وقتهم؛ حيث كان الناس يسرفون في نقاش الأشياء والمفاهيم والأوهام، وكانوا يرونها موضوعات معرفيَّة أحيانا!

لكنني أشعر بأن كل ذلك عناء ينفخ القلب، ما أجمل النوم والاستيقاظ بصحة جيدة وعقل متماسك دون هموم مصطنعة وأجساد مريضة وعقول مرتبكة...

مضيتُ أفكر بكل هذا وأنا أتجه إلى المقهى المفضل إليّ؛ جلستُ في طريقي إليه على أحد المقاعد الشفافة بالقرب من الحديقة الزجاجية. كانت الأشعة البديلة للشمس تنعكس عليها جزئيا، وكانت مسوَّرة بزجاج شفاف ملوَّن، وبعد السور المنخفض تنتشر الحجارة البيضاء شبه الشفافة بما يقارب نصف متر، وفي الوسط يبدو العشب الرقمي باللون الأخضر شبه الشفاف منسجما كله مع حركة الهواء البديل، يتمايل يمينا ويسارا بخفَّة وروعة، وتنعكس من فوقه أرقام ضوئية تشي بنسبة الماء الموجود فيه ونسبه الزجاج ودرجة حرارته

ومستشعرات الإحساس التي تمرُّ بالأعشاب وما إلى ذلك، وفي الوسط تنتشر الأشجار الرقمية الخلَّابة ومن حولها شلال لا يهدأ.

ظللتُ أمعن النظر إلى الشلال وكيف يتلامع، كيف تنعكس عليه الألوان وكيف تخترقه الأشعة غير آبه بشيء منها، يواصل انصبابه كأنه وحيد في هذا العالم. لم يكن كأيِّ ماء منصبّ، كان يشبه الأشياء الجامدة حين تسقط لكنه لم يكن يسقط مثلها، كان ينصبُّ بقوة وخفة في آن معا، ينصبُّ شفّافا ومع ذلك تنكسر الأشعة وألوان الأشياء داخله كأنه في صراعٍ أبديٍّ معها، صراع جميل لا يؤذي أحدا منهما، ويسرُّ الناظر إليه.

وأنا جالس على المقعد الشفاف ويفصلني عن إحدى الشجيرات الرقمية قرابة متر ونصف؛ رأيتها كيف تنحني وتطول أغصانها حتى طوَّقني غصن منها واحتضنني، وقد خفت من إبعادها عني لئلا أقتلها حزنا مثل تلك النبتة المسكينة.

جلست متأملا المكان هناك قرابة عشر دقائق حتى شعرتُ بارتياح كبير، ثم اتجهتُ إلى لمقهى، طلبت قهوتي المعتادة، البنّ الجديد المعالَج مع الحليب المصنَّع من أصل حيواني. كانت القهوة طيبة واستمتعت بجلستي الهادئة.

المهم أنني وأنا في تلك اللحظة (الحُلم) غارق في التفكير؛ تبدَّى لي من وسط الجموع صديقي 35م، نظرت إليه ثم تخفَّى متعمِّدا، واستغربتُ في الحقيقة لكنني أكملت احتساء قهوتي وتأمل المناظر من حولي، حتى شعرت بيدين من خلفي تغمض عيني، إنه صديقي 35م! لقد كان يقول: «لا تفزع واستمر في النظر إلى الأمام إن رفعت يدي عن عينيك، ولا تنظر إليَّ إطلاقا!»

سألته: ماذا هناك؟

قال: الأمر خطير! حافظ على نظرتك إلى الأمام!

ماذا هناك؟ في تلك المرة التي جئتني بها عبر النافذة لم تتحدث! والآن أنت تتحدث ولكن لا يجب أن أنظر إليك! هل أنت مجنون!

الأمر خطير يا 9ك أرجوك قل لي بأنك ستتفهَّم الأمر!

حسنا! ماذا تريد؟

ثم رفع يديه عن عيني وظللت أتطلع على النباتات وهو يتكلم، وأنا أكمل الشرب من كوبي دون أن أحدد النظر إلى شيء بعينه، وهو يتحدث ويتحدث بأشياء صدمتني وجعلتني أراه مجنونا كأمي أو أكثر.

هذه المرة يرى صديقي أنني مراقب من داخل عيني، أي أن هناك شيئا مزروعا في دماغي أو في العين نفسها، لا أعلم! لكنه يقول بأن كل شيء يحتاجون إلى معرفته لا يضطرون معه إلى التجسس ولا المراقبة، إنما النظر السريع للأشياء التي أنظر إليها وعلامَ أبحث، أو أن مستشعرات الخلية المزروعة في عيني تقدِّم تحذيرات أو قراءة معينة كل فترة وتطلق أجهزة إنذار إذا استدعى الأمر... نوع من الذكاء الاصطناعي يعني! شيء يمس حركة ما بعد الإنسانية الجديدة!

فاجأتني تلك المعلومات، لكنني تركته يتكلم، وتخيَّلتُ مع كلامه تلك الأجهزة التي تتصل بالمستشعرات داخل عيني فتقدم لهم قراءة سريعة عني وفق ما أشاهده.. أو ذلك الجهاز الذي يصفه صديقي وهم يجرون فيه مسحا بصريا على صورٍ أنظر إليها أو يدخلون أشرطة حياتي المسجلة لديهم في جهاز المسح البشري - هكذا سمَّاه! - ثم تدوّن الآلة عبر خوارزميات محددة مجالات اهتمامي والأماكن التي ذهبتُ إليها ومن جلست معه، هو هكذا يقول! ولا أعرف عمن نتحدث عندما نقول ينظرون ويتجسسون ويبحثون! هل النظام الجديد متفرغ لملاحقة البشر مثلا!

المهم أنه أخبرني بمواظبته على المرور بي بطريقة مشابهة يجعلني فيها أسمعه دون نظر، وأنه قد يختفي عندما تسوء الأوضاع، ولاسيما والموضوع الذي قد حذرني منه بدأ في طريقه إلى الظهور، وأنه في خطر بسبب الموضوع الذي يقوم بإعداده، وعندما يريدون العثور عليه فسوف يتعقبونني أنا من داخل عيني، أي سيبحثون عنه في عيني! وهذا من أكثر الأشياء جنونا بعد موضوع أمي!

أحيانا أقول في نفسي: ما الذي يجعلني أتحمل كل هؤلاء الناس المجانين من حولي؟ إنه أمر يتعبني، والتفكير في مؤامرة بهذه الطريقة أمرٌ مرهق. لكنَّ ثمة معرفة داخلية لاحظتُها في نفسي ترشدني أحيانا لاتخاذ ردَّات فعل مخالفة عما يؤمن به عقلي، ومعرفتي الداخلية ألحَّت علي بأن أعطي صديقي فرصة.

ترددت في اتخاذ موقف منه، ثم وجدت نفسي أسأله وأنا أحدِّق في كوبي مليًّا: ما المطلوب مني الآن؟ وكيف أتصرف إن سُئلت عنك؟

قل لهم إنني أتيتُ وأخبرتك بأمور جنونية لكنك لا تذكرها الآن بسبب معاناتك من ذلك الصداع المرتبط الفيتامينات، وأنك لم ترني بعدها إلا عرضا وأنت تشرب قهوتك هنا، سيصدقونك يا 9ك! هم لا يشكّون بك، فأنت بالنسبة إليهم كائن مثالي يساعدهم على الوصول إلى ما يصبون إليه دون أن يضرّ بهم وبمخططاتهم.

- كيف ذلك؟ لا أفهم!

- إنك بالنسبة إليهم إنسان منكِر لهذا الذي تراه جنونا، وإنك شخص تنفر من الأجيال القديمة بطبعك، كما أنك شخص ناجح وثري، وتلمّع صورتهم دون قصد منك، ولا يوجد شخص أفضل منك ليجنّدوه دون علمه، وتحديدا وأنت مصاب بخلل ما؛ فلذلك هم لا يعرفون حالتك على

وجه الدقة ولا توجد لديك أسباب للكذب بشأنها من وجة نظرهم... وكلما أخبرتهم عن شيء لا يصدقونه فسيرونك استثناءً دائما... هناك لائحة تنظيمية قد أعدّوها مؤخرا تنظم العمل بخصوصكم أنتم الذين تعانون من بعض الأشياء، وهي تؤكد على اتخاذكم محل التجارب من دون الإضرار بكم. وسترى أشياء عجيبة في الفترة القادمة يا صديقي، سيفعلون بك الأعاجيب ليتأملوا مدى عطلك من أجل كتابة تقارير عنه ولتحسينه في الأجيال القادمة، ونصيحتي لك الدائمة: لا تتخذ ردَّة فعل، فمهما حدث من شيء غريب لا تبدِ أي ردة فعل تجاهه، أتعلم لمَ؟

- قلت له: لمَ؟!

- قال: لأنك عندهم مصنَّف تحت مسمَّى: «آلة معطوبة!»

ثق بي يا صديقي فلا مصلحة لي بالكذب عليك، وسترى الأيام القادمة كل ذلك.

- قلت له: هذا أكثر شيء مجنون سمعته في حياتي... ولا يمكن أخذه على محمل الجد! أنا جندي الآن وفي الوقت نفسه أنا هدف! وفي الوقت ذاته أنا تجربة حيَّة، في الوقت الذي يجري فيه تصنيفي بأنني آلةٌ معطوبة!

فكم هويّة لديّ عندكم إضافةً لاستلابي القديم؟

- لسنا حزبا يا صديقي، نحن أشخاص نحاول الوصول إلى حقيقة ما يجري لأحبتنا وما يجري حولنا، ومن المهم أن نفكر في جميع الاحتمالات وألا نستبعد شيئا؛ فلا نعلم المدى الذي تطوَّرت به المستشعرات لديهم منذ صدور أول حبة رقمية علاجية «أقراص أريبيبرازول» في عصر حركة ما بعد الإنسانية؛ فالأنظمة قد سعت إلى إخفاء هذه العلاجات واعتبارها أسلحة سريّة، فلا نعلم أية نتائج بخصوص إنترنت الأجسام والأشياء من بعد هذه

التجربة العلاجية الدقيقة، فربما وصلوا إلى اختراقك بطريقة لا تشعر بها! لا نعلم حقا ما خطبك.

- وأنا لم يضايقني قط ما يجري إلا ما يتعلق بكم، ولا أعلم كم سأستمر في هذا الجنون والسكوت عنه، هناك شيء يجعلني أسكت وأتجاهل، لكن سأجاملك لفترة لترى بعينك أننا نعيش في مكان مبهر، أحاول أن أعطيك فرصة لأنك شخص مميز بحياتي، سأجاملك مدةً ولا أعرف لمَ أتجاوب معك في هذا الجنون! لكنني أود أن أعرف موضوع الفيتامينات والصداع الأليم الذي تعرضت له وأحتاج إلى بعض الحقائق المقنعة فيما يتعلَّق بتضخُّم قلبي، فسأعطيك ونفسي فرصة لاستيضاح الأمر، لكنني أحذرك بأنني لن أستطيع الصبر طويلا مع هذا الجنون.

ما إن أبديتُ موافقتي على ما يأمله صديقي مني؛ شعرتُ بقفزته من خلفي، كان فرِحا بردّي عليه وابتسمتُ مع قفزته لاشعوريا، شعرت بأن صدري مكشوف، وأنَّ هواءً باردا يدخل فيه فأتنفَّس جيدا، لعلَّ قفزته غيَّرت شيئا في الأرض والهواء!

لا أعلم، المهم أنه جعلني أبتسم بعد أن نسيتُ الابتسامة منذ مدة طويلة. يا الله! متى كانت آخر مرة ابتسمتُ فيها!

وأنا أتحدَّثُ مع نفسي متذكِّرا كل شيء وأفكر فيه بتأنٍّ؛ هنا قد نسيتُ جهاز التسجيل يعمل حتى الصباح لأنني كنتُ في عالمٍ آخر يشغلني عن إيقاف الجهاز قبيل النوم...

6

خط الإنتاج الأول

شيء ما في صدري تغيَّرَ بعد قفزة صديقي الغريب، واسيقظتُ في اليوم التالي وأنا أبتسم أيضا، وما زلتُ أشعر ببرودة الهواء على صدري، ولا أعلم ماذا تسمى هذه الحالة، ربما سعادة!

خطرَ في بالي سؤال مرعب: ماذا لو كان في الأمر شيء من الصحة؟ أي أنَّ الجنون الذي أراه هو جزء من الحقيقة؟

هناك أشياء بداخلي تتغيَّر مع والديّ وصديقي ومن أحب، أشياء لا أفهمها ولا تفسير لها لديّ.

وجدتُ نفسي أشعر بصداع بسيط في جبهتي، وأنَّ صدري عاودَ الانتفاخ قليلا، فركَّزتُ نظري على الأوراق الموضوعة على الطاولة بجانبي وأنا أحاول نسيان أمر القفزة والهواء البارد وبقية الفوضى التي تضجُّ داخل رأسي، أتجاهل وعينا أمي تلحُّ في ذاكرتي كثيرا وهما مغرورقتان بالدموع.

بعد مضي وقت غير قليل شعرتُ بأنني على طبيعتي، فارتحتُ، وخرجتُ من المنزل إلى العمل بعد أن مررتُ بالمتجر القريب لعلي أجد منتجي المفضَّل.

كان المحل هادئا وشبه فارغ من الأشياء تقريبا، فالأرفف الشفافة ما تزال على حالها خاوية من المبيعات، ولأول مرة أنتبه إلى أن هذا المحل يكاد أن يكون فارغا دائما ولا توجد فيه إلا الأشياء التي أودُّ أن أشتريها!

المهم أنني لم أجد منتجي بالطبع، وتململتُ طويلا وأنا أحدق تقريبا في اللاشيء، لكنني بعد ذلك رأيت عرضا جيدا على اللحوم الجديدة فأخذتها؛ كانت لحوما مصنَّعةً من خلية حيوانية وحيدة، ولكنَّ ميزة هذه اللحوم الجديدة أنها مدعَّمة بالفيتامينات أكثر، وهي أقل من اللحوم الأخرى في نسبة المواد الحافظة، كما أنها مصنَّعة محليا وهو ما يجعلني أثق بالمنتج أكثر.

أذكر وأنا صغير تلك الأمنية التي تراودني بسبب مشاهدتي الطويلة للرسوم المتحركة؛ حيث كنت أتمنى أن أعيش في مزرعة مليئة بالحيوانات، ومن أجل ذلك قضينا جزءا من إجازتنا الصيفية حين كنتُ في الثامنة في مزرعة بعيدة تقع حول المناطق الجبلية، تلك المناطق التي انتشر فيها المعارضون لشكل الدولة الحديثة فيما بعد.

صحيح أنني لم أقضِ فترة كافية في جعل حيوان ما يعقد صداقة متينة معي كما في الرسوم المتحركة، لكنني كنتُ سعيدا بشكل لا يُوصف؛ إذ عشتُ حياة الريف كما في خيالي بل وأجمل.

ومنذ قرار خط إنتاج الحيوان والأمر بخصوصه قد تعسَّر قليلا؛ فلم يعد أحد يستطيع أن يقتني الحيوانات بسهولة، ولا أن يذبحها ويأكلها مباشرة، فالحيوانات المسموح لنا بأكلها هي تلك الموجودة على الأرفف الشفافة، تلك اللحوم المعالجة بما يضمن معايير الصحة والسلامة، والأمر معقَّد من الناحية القانونية قليلا، فليس من المسموح اقتناء حيوان دون إثبات رسمي له وبطاقة هوية لحفظ حقوقه وتنظيم الوضع أمام ما يُمارس تجاه تلك المخلوقات المسكينة.

وبالطبع حتى هذا الأمر اعترض عليه ذلك الجيل المجنون وتمرَّدوا بخصوصه، ودخلت البلاد في موجة عنف مسلَّح حتى أُعفوا جزئيا من

التقييد، لكنهم ما زالوا ملزمين بتسجيل كل حيواناتهم نظاما، واستخراج شهادة وفاة إذا مات الحيوان أو أكلوه.

أجد أنَّ البشرية تأخرت كثيرا بهذا الالتزام، واستغلت الحيوانات كثيرا حتى أتت القوانين الحديثة بالتوجّهات التقدمية للنظام الجديد وحفظت كل تلك الحقوق للحيوان، وأنا بالطبع يناسبني ذلك؛ فمن السهل تناول اللحوم وهي نظيفة ومجهَّزة وآمنة.

ما الذي جعلني أتذكر كل ذلك؟

يا للذكريات المتدافعة التي صارت تهاجمني فجأة في الآونة الأخيرة. ولو أخبرت أمي بذلك لقالت لي: «تعال وامكث معنا قليلا واترك نظام حياتك الحالي لتعود إلى أصلك أكثر؛ فالذكريات لا تهجم فجأة، لقد فُتح نظامك يا بني!».

إنه كلام يجلب لي الجنون...

آه! لا أعلم لمَ تذكرتُ شيئا غريبا الآن!

بعد إقرار خط إنتاج الحيوان، وهو أول خط إنتاج أُقرّ؛ كنتُ في الرابعة عشر من عمري تقريبا، وقد أهداني والدي وقتها قطة صغيرة تأخذ العقل وتأسر القلب بمجرد رؤيتها منذ الوهلة الأولى، كانت ذكية ونظيفة بصورة لا تُصدَّق، ولشدة ذكائها كانت لا تنام، وتفضِّل أن تمضي وقتها وهي تساعدني في كل شؤوني، أصحو فأجدها تُحضر لي ملابسي بفمها وهي تنتظرني عند باب الحمام، وأراها كل صباح عند خزانة الأحذية تفتح عُلبة التنظيف وتُخرِج الإسفنجة منها وتمسح حذائي وتضع فيه جوربا ملائما للملابس... كنتُ أُجنُّ بها عندما تفعل ذلك وهي تتدلَّل عليّ وتتثنَّى بفروها الناعم ونظراتها الحنونة كما لو كانت غوايةً!

لقد كانت قطة ذهبية لا تقدَّر بثمن، حتى مواء القطط وإزعاجها الشائع لم نكن نشتكي منه إطلاقا... كانت قطة جميلة جدا وبارعة في كل شيء وتحس وتفهم كأنها إنسان.

أذكر أنني فقدتها في احتفال تأسيس البلاد في الثالث والعشرين من يناير، يوم أن كان هناك كرنفال يمشي فيه الآلاف عابرين في كل البلاد، وكان الموكب يسير حاملا معه الغذاء والدواء وبهرجة الاحتفالات؛ البالونات تتطاير بلا توقف، والمفرقعات والألوان تملأ قبتنا السماوية البديلة، والأضواء الملونة والهواء البارد يجعلان من الأجواء ساحرة حقا... وقتها بكيتُ في الموكب وشعرتُ بالفزع لأنني فقدتُ قطتي، وكان البحث عنها مستحيلا أمام أفواج من الخلق والسيارات والشاحنات... كل ذلك ربما كان بالآلاف.

في ذلك اليوم حاول أبي تهدئتي، ووعدني بإحضار قطة أخرى، وكنتُ أصرخ باكيا دون أن أعطيه الفرصة لإتمام كلامه، لقد بكيتُ بحرقة فعلا، وشعرت بأنَّ دموعي انتهت لكثرة ما ذرفت منها.

بعدها بساعتين تقريبا وصلنا إلى المنزل، فقد كان الطريق طويلا والمسافة بعيدة بينا وموكب الاحتفال؛ لكنَّنا لم نتوقع أن نجد القطة تنتظرنا عند الباب بكل انتباه ويقظة في ذلك الجو المتجمِّد!

لم أستطع بعد ذلك تقبُّلها، وخفت منها وارتعد قلبي كثيرا... وقد لمحتُ في عين أبي نظرة خائفة أيضا، لكننا لم نقل شيئا. لقد أرعبنا الموقف بشكل حبس الكلام في صدورنا حتى ذهبنا إلى الشاطئ ووقعت الحادثة.

كان ذلك بعد اليوم الذي ضاعت فيه القطة بثلاثة أيام تقريبا؛ كنا أمام شاطئ البحر أنا وأبي وهي بجانبنا، كانت تحدِّق في عين كل واحد منا وكأنها تعرف ما الذي نفكر فيه من دون أن ينطق أحدنا بكلمة.

كانت تلك النزهة أشبه بعقاب لأننا لم نتكلم إطلاقا، ولأنني لم أداعبها ولم ألعب معها كما أفعل دائما، والغريب أنها كانت تحدِّق بنا وحسب، فلم تتثنَّ عليّ ولم تداعبني أو تلعقني كما تفعل دائما، كانت كمن ينتظر شيئا لا أعلم ما هوَ! وكانت نظراتها تنفض جسدي كلما وقعت عليها عيني.

أذكر أنني عندما هممتُ بمساعدة أبي في وضع كل شيء في المقعد الخلفي من السيارة؛ كانت القطة تقف على الخط وذيلها منتصبا إلى الأعلى منتظرة إيانا لنركب جميعا في السيارة.

رأينا تلك الشاحنة مسرعة وصاحبها غير منتبهٍ على الإطلاق؛ فقد كانت القطة تقف خارج الخط الأصفر والشاحنة تكاد تصدمها. وقتها نظرتُ إلى أبي كأنني أستأذنه في إنقاذها، لكن سكونه وشدة بروده أفهماني أنه ينتظر من الشاحنة أن تدهسها في هذا اللحظة ليرتاح. هكذا قرأت وجهه، ولأنني مرعوب منها وافقته بسكوني فلم أتحرك لنجدتها...

أقسم أنني وإياه تنهَّدنا معا في اللحظة ذاتها عندما دهستها الشاحنة على ذلك الخط السريع، لقد تنهَّدنا معا عن صدرٍ يكاد أن يكون جبلا...

لقد ماتت أخيرا، تفجَّر دماغها على ذلك الخط وتناثرت خلاياه على الرصيف، واقتربنا منها ورأينا دماغها الذي بدا غريبا جدا ويميل إلى اللون الرمادي المسودّ، والغريب أكثر أنها لم تنزف إلا القليل جدا من الدماء كأنها كانت بلا دم!

ما هذا المخلوق الغريب الذي كان عندنا!

لقد حملها والدي بهدوء، ولفَّها ووضعها في السجادة التي كنا نجلس عليها قبل قليل أمام الشاطئ. بقينا صامتين طوال الطريق ولم نتحدَّث إطلاقا وهو أمر غريب جدا!

ذهبنا بها مباشرة إلى خط إنتاج الحيوان لاستخراج شهادة وفاتها وترتيب أمور الدفن. وقتها عرفنا أن صاحب الشاحنة سُجن من قبل أن نبلّغَ عن الحادث! واتسعت دهشتنا بشكل لا يخفى، ولم نحظَ بدقيقة أنا وأبي لتوديعها أو للتظاهر بذلك. لقد أخذوها منا بهدوء ولم نعلم ما الذي حدث بعد ذلك...

لكن ما أعلمه أنني نفرت من كل الحيوانات ولم أعد أشعر تجاهها بأي شيء علي الإطلاق... ولا أعلم لمَ نسيتُ القطة والحادثة تماما، ولمَ تذكَّرتها فجأة!

إنه أمرٌ غريب حقا!

يقول ذلك الجيل المجنون بأنَّ بعض الحيوانات يسكنها مخلوق آخر يُدعى (الجان) ويجعل من كل شيء يقطنه غريبا، ولا أعلم إن كان هذا الجان يسكن الجمادات أيضا، لكنهم يقولون بأنه يسكن البشر والحيوانات ويجعلهم يتصرفون بطريقة غريبة تماما...!

أذكر أمي الآن وتعليقها الدائم على الموضوع: «أكانت حيوانا بالفعل؟»...

لا أعلم يا أمي ولا يهمني أن أعلم إن كانت حيوانا أو أي شيء آخر، لكنني أرحّب بفكرة عدم التعامل مع الحيوانات إطلاقا لأنها كائنات مفزِعة مهما بدت لنا مسكينة! لذلك يبدو لي رفضُ اليوم طريقة مثلى للتعامل معها!

وجدتُ نفسي أفرِّغ هذه الذكريات - بارتباكٍ كبير - في هاتفي... وتذكَّرتُ فجأة نبتتي الجميلة الجديدة؛ فقمت فورا وأخرجتها عند باب المنزل، ووضعتها باتجاه الشمس متمنِّيًا أن تحرقها فتموت... ولا أعلم ما الذي حدثَ لي، لكنَّ نفوري منها كان حقيقيا وغير قابل للتفكير.

لقد انتابني فزعٌ غريب من أن تكون النبتة مسكونةً بشيء ما كتلك القطة المجنونة... ولا أعلم متى نمت، لكنني كنتُ مرعوبا بشكل يفوق أي مرة ارتعبتُ فيها في حياتي.

7

في الغرفة الزجاجية

صحوتُ اليوم على مكالمة غريبة بالفعل، ولا أعلم لمَ شعرتُ بأن النبتة الغريبة هي من كانت وراء تلك المكالمة!

لا أقصد أنها كلمتني، لا... إنما شعرتُ بأن المكالمة أتت بسبب ما فعلته بها البارحة، شيء ما يمس معرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء أوحى لي بذلك.

تحمَّمتُ وجهزت ملابسي وتناولتُ طعامي، دققت في المرآة متأملا وجهي، وقد رنَّت في أذني كلمات أمي وهي تقول لي: «أنت لا تكبر»، وتذكرت صديقي وهو يقول لي: «يراقبونك من عينك»، حاولت تذكُّر تصرفاتي أمام المرآة طيلة حياتي كيف كانت تبدو لئلا يتضح تشويشي، ثم ابتسمتُ للمرآة ابتسامة مصطنعة لا أعلم كيف خرجت مني لكنها خرجت بتكلُّف كبير، وخرجت بعدها إلى مكان الاستدعاء وأنا أشعر بصداع خفيف.

عندما أغلقت الباب الزجاجي، كانت النبتة عند قدميّ بالضبط، كانت جامدة لا تتحرك ولم تحاول إثارة غرائزي كالعادة. توتَّرتُ وأدرتُ المفتاح في الباب بتردد لمدة أطول من اللازم، ثم قلت لها: هل أعجبك الجو في الخارج يا عزيزتي؟ هل نلت كفايتك من أشعة الشمس؟

أحسست بها مبتهجة مجددا وازدادت نضارتها، فقلتُ وأنا أمثِّل الاهتمام بها: إذن لندخلك في الداخل الآن!

فتحت الباب: ووضعتها، وفررتُ من المكان مرعوبا.

شعرتُ بخوف غريب يتملَّكني حتى فكَّرت بأنني مسكون من الجان كما يقول ذلك الجيل المجنون! لا أعلم لمَ فكرت بذلك لكنني كنتُ غريبا بالفعل.

وأنا أسير في الطريق خطرَ لي أن أُعرِّج قليلا على صديقي 35م فمررتُ به في عمله. لم أدخل مبنى الجريدة، بل وقفتُ هناك في الشارع الكبير أمامه... كان من أكبر البنايات في المدينة، وهو لا يختلف كثيرا عن الأبنية الحديثة؛ فالزجاج يحيطه من كل جانب، ومن الشارع نستطيع أن نرى كل شيء حتى دورات المياه، كانت مصنوعة من الزجاج المعتم قليلا لكن كل شيء ما عدا ذلك بدا واضحا.

وأنا أقف في الشارع عرفت أنه لم يحضر بعد، وظللتُ أنتظر الإضاءة الخضراء؛ تلك الإضاءة الصغيرة المستديرة التي تُضيء في الخارج مقابل مكتبه ما إن يدخل. لكنها لم تعمل كبقية المكاتب التي حضر فيها موظفوها.

ازدادت الأضواء الخضراء الصغيرة وكثر الموظفون الذين حضروا إلى أعمالهم، وقلَّ مرور الناس في الطريق، الكل الآن في عمله، والمباني الزجاجية تغزوها الأضواء الخضراء الصغيرة، ما عدا مكتب صديقي. ليس من عادته أن يتغيَّب عن عمله...

قلتُ في نفسي: هل حدث له شيء جراء ذلك الموضوع الخطير الذي حذرني منه؟ هل هو هذا مصدر شعوري الغريب منذ بداية اليوم؟

لا أعلم... لكنني بقيت مكاني منتظرا أية علامة خضراء تُضاء أمام مكتبه. أعرف مكتبه جيدا، إنه يقع في الدور الرابع قبل اليسار بثلاثة أمتار تقريبا.

توترت زيادة، فزدتُ مدة انتظاري له قرابة عشر دقائق، ثم بدا لي شيءٌ

مزعج جدا عندما لاحظت ترتيب الناس في الطريق وعدم صدور أي صوت في مكان مكتظ بالأعمال كهذا المكان! شعرت بالرعب يداهمني فجأة، شيء ما تحاول معرفتي الداخلية المسبقة تنبيهي منه، كنتُ أبدو كمن فقد السمع فجأة أو كأن الناس صاروا حشرات صغيرة يتحدثون ويتحدثون بلا صوت مسموع... وهذا ليس هو الشعور الأول الغريب الذي يعتريني هذه الأيام، وهو ما يجعل كل شيء مرعبا الآن.

عندما طال انتظاري ألقيتُ بكوب القهوة الذي أحضرته له ثم انصرفت. شيء بداخلي جعلني أبتعد ذاهبا إلى محل الاستدعاء من دون أن ألتقي بصديقي.. شيء غريب جدا، كحسَّاس سيارة أو كجرس إنذار ضد الحريق. وقتها انتبهتُ إلى أن يديَّ ترتجفان، وهو شيء جديد عليّ ينضمُّ إلى ذلك الصداع الذي يلازمني منذ أيام.

كانت الدائرة التي ذهبت إليها هي وحدة الاهتمام المحلي بشؤون المنتجات؛ تلك الدائرة التي تهتمّ بخطوط الإنتاج وحقوق حمايتها، وعندما دخلت المبنى سحبوا كل أجهزتي، فشعرتُ بأن الأمر خطير فابتلعتُ ريقي، وتذكرتُ أول مرة فعلتُ بها ذلك في صغري؛ عندما كنتُ في المزرعة في الإجازة الصيفية ومات ذلك الطائر المسنّ بين يديّ وأنا أحسب أنني أهتم به، لم يخبرني أحد أنه مسنّ ولا أعلم أي نوع من الطيور هو، لكن منظر ريشه وطريقة انحنائه وتيبّس رجليه، والتعب والشحوب البادیان على عينيه ومنقاره؛ أشعرني كل ذلك بأنه مسن، كانت رجلاه تهتزان بلا توقف حتى مات في يدي. وها أنا أبتلع ريقي مرَّة أخرى لكن لا يوجد في يدي طائر مسن ولم أقتل أحدا، ويبدو أنني أنا الطائر نفسه هذه المرة.

شعرتُ بأنَّ وحدة نقاط الضبط المنهجي موجودة في المكان وسيدخلونني في الغرفة المعتمة والله وحده يعلم ما الذي سيفعلونه بي، تلك الوحدة التي

استعنتُ بها على ضبط منتج صديق نجمي والتخلص منه بلا رحمة. هل سأنال جزاء ما فعلتُه به؟!

لا يا إلهي... لا، أرجوك!

هنا في هذا المكان وفي تلك اللحظة شعرتُ باحتياج قوي لأمي، وقد نسيتُ هذا الشعور تماما منذ أعوام طويلة، وتمنيتُ لو أنَّني انتظرت صديقي وأخبرته بأمري؛ لكان قادرا على مساعدتي لو حصل لي شيء ما أو اختفيت.

لقد تركوني في هذا المبنى الزجاجي المرعب، يراني كل من يدخل وكل من يحيط بالغرفة لكنني لا أراهم بسبب هذا النوع من الزجاج الذي يوضع لحجب الرؤية من أحد وجهيه.

دخل بعد دقائق موظفٌ يرتدي السترة الوظيفية الشفافة ذات الأطراف اللامعة، ووضع كأسا من الماء ثم خرج بعد أن قال بلطف بالغ: أرجوك إن كان هناك ما أفعله لأجلك فاضغط على هذا الزر في الطاولة، ولاحظت أن الزرّ يحمل الرموز والأرقام ذاتها التي تحملها بدلته الوظيفية! 24ب30ولم أفهم الأمر ولا يهمني.

المهم وأنا جالس على ذلك الكرسي الشفاف البغيض؛ طرأ في بالي أمر! أنهم وضعوا في الماء مواد تعبث بي، معرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء ألحَّت علي بذلك. أخرجتُ بهدوء كبير مفاتيحي من جيبي وعبثتُ بها قليلا، واقتربتُ رويدا رويدا من الكأس كأنني أفكر وأعبث، وقربتُ القطعة الصغيرة الممغنطة بجانب الكأس دون أن ينتبه أحد إلى أنني أجرِّبه، ووجدتُ الماء ينجذب معي فتوقَّفت فورا محاولا إخفاء صدمتي.

اندهشتُ قليلا وسيطرتُ على دهشتي، أكان ما يقوله لي صديقي 35م صحيحا! أهذه الأشياء العجيبة التي أتعرض لها هي الأشياء التي حذرني منها!

لقد دأبَ الناس على تسمية مثل هذه الغرف بغرفة العذاب المصغَّر، ففي المسلسلات والأفلام يقوم رجال النظام الجديد بضرب المشتبه بهم داخلها وحقنهم بإبر الاعتراف والهلوسة والإبر الحارقة التي يشعرون معها بأن الدم يغلي في كل جزء من أجسادهم، فيتحوَّلون إلى أشخاص آخرين بفعل الاضطراب الذي يشعرون به مع تلك الإبر، ويتمّ التفرج عليهم من الخارج كما لو كانوا في سيرك. تذكرتُ ذلك الرجل في فيلم (تجربة الأعضاء) الذي وصل به الاضطراب إلى الحد الذي قام يخلع فيه أظافره، وقد تركوه يفعل ذلك في ثلاثة أصابع، ثم بدأ بأكل أصابعه الأخرى حتى فقد الوعي. أعادوه بعد ذلك إلى المنزل ووضعوه على سريره دون أن يعلم ما الذي حدث له، وعندما استيقظ قفزَ من سريره كأنه صاروخ وفتح عينيه على كامل اتساعهما ودقَّقَ في أظافره وأصابعه فوجدها سليمة، فعركَ عينيه وأغمضهما ثم فتحهما مجددا ووجدها سليمة، ثم اتجه إلى المرآة ومدَّ يديه أمامها فلم تتغيَّر، ثم خلع كامل ملابسه أمامها وهو مفزوع فلم يجد أي شيء غريب على جسده، فلا علامات للضرب ولا لحقن الإبر؛ فصار متشكِّكا أحدثَ له بالفعل ما أضرَّ به وأرعبه أم لم يحدث! حتى ظنَّ أنَّ كل ذلك هلوسة منه ولم يستطع أن يتخلَّصَ منها، فصار متعبا ومفزوعا على الدوام، وصار يشتكي من اهتزازات أصابعه بشكل مستمر، حينها ذهب إلى الطبيب النفسي الذي استخرج منه كل ما أراده من معلومات، ثم صيَّرَه آلةً تنفذ ما ترغب به السلطات عبر العلاج.

وفي فيلم آخر يُسمَّى (العلاج الجديد) قامت تلك الدوائر المعقَّدة بتنظيم مؤامرة حول أحد المزعزعين لنظامها الجديد؛ فتدخلوا في سير أيامه وحاولوا إقناعه بالجنون حتى صار غريبا في تصرفاته وهيئته فنفر منه الجميع، وبات منبوذا ولا أحد يسأل عنه، حتى مرَّ عليه عام كامل وهو ميت في سريره دون أن يعلم عنه أحد.

إنها أفلام مرعبة بالفعل ولا أتخيل أي إنسان يمرُّ بذلك!

لقد ارتعبتُ كثيرا وأنا أنتظر في غرفة العذاب المصغَّر تلك، وعشرات الصور من تلك المسلسلات تتزاحم داخل عقلي، فشعرت كأن قلبي بدأ يتضخَّم مجدَّدًا، ثم حاولت السيطرة عليه لأنني بالحق لم أفعل شيئا.

لقد سحبوا ساعتي فلم أعلم كم بقيت هناك، لكنني أقسم بأنه وقت كافٍ ليكره المرء نفسه للأبد ويكره كل شيء أيضا!

وأنا في خضم تلك الأفكار المفزعة؛ دخل ضابط أعرفه مسبقا واسمه 4ب، أقبل مبتسما وهو يحمل أوراقا كثيرة وكوبا من القهوة من المحل ذاته الذي ابتعتُ منه قهوتي قبل قليل، ارتحت في البداية لأنني أعرف هذا الضابط قليلا، ثم استأتُ لأنني شعرتُ بأنه يضايقني ويعرف أين ذهبت هذا الصباح ويريدُ العبث بأعصابي... هكذا طرأ لي وفقا لمعرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء.

خُضنا تلك الأحاديث العائلية المملة عن الطقس والحال والأمور، ثم سألني بنبرة مختلفة: لقد بقيتَ هنا قرابة ثلاث ساعات، لماذا لم تشرب الماء؟

- أجبت: لم أشعر بالعطش...

سكتنا قليلا وكل منا يحدِّق بالآخر بصورة مزعجة، وكلمات صديقي تقرع ذهني كالأجراس المتتالية حتى لكأنني سمعته وهو يقول: «مهما حدث لك من أشياء غريبة فلا تبدِ أية ردة فعل، أنت آلة معطوبة» ... وافقته داخل عقلي وأنا أقول: نعم أنا آلة معطوبة.

قاطع الضابط أفكاري سائلا: أين كنتَ هذا الصباح؟

- قلتُ مباشرة: أخذتُ قهوةً لي ولصديقي ولكنني لم أجده وجئتُ هنا سريعا.

- من هو هذا الصديق؟

- 35م.

- أين يعمل؟

- في صحيفة الأراضي القديمة.

- هل تؤمن بعمله وقضاياه؟

- أنا غير مهتم بهذه الموضوعات ولا نتحدث فيها معا.

- هل كنت ستخبره بأنك قادم إلينا؟

- لا!

- ماذا فعلتَ يوم أمس قبل أن تنام؟

هنا مع هذا السؤال أدركتُ أنني حضرت من أجل تلك النبتة اللعينة، فقلت له: لا شيء مميز.

تغيَّر صوته مجددا وهو يقول لي: اسمع يا 9ك!

- لقد ورد في سجلاتنا أنك ابتعتَ من خطوط الإنتاج مؤخرا نبتة جميلة مميزة تُدعى بشجرة الحياة السابعة، ونحن نحب التأكد من صحة عملائنا الذين يبتاعون خطوط الإنتاج، ونزيد التأكد كذلك من صحة منتجاتنا ونيلها لكل الحقوق، فهذا اللقاء روتيني للتذكير بذلك، ولتعبئة بقية أوراق البيع من أجلك، فهل الأمور على ما يُرام؟

- قلت: نعم!

- قال: تستطيع المغادرة الآن!

خرجتُ من ذلك المبنى اللعين وأنا أتحامل على نفسي لئلا أبدي ردة فعل

غريبة، وتمنيتُ لو أنني ركلتُ تلك النبتة ألف ركلة.

شعرتُ بأنهم داخل عيني هذه المرة لأن الضابط كان يدقق في شيء بعيني ويبادل النظر معه ومع أصابعي، ثم يسجِّل استجابتي للأسئلة بالتغيُّر الذي يبدو عليّ... هكذا شعرت.

مشيت في الطريق على غير هدى وأنا أشتعل كالنار، ولا أعلم ما الذي استيقظ بداخلي هذه المرة، استيقظ شيء أكبر من تضخم القلب والكماشة وتلك الجميلة التي تركتني في الموعد، شيء أكبر من ذلك الذي يسكن المخلوقات... استيقظ بداخلي شيء أكبر حتى من تلك القبة السماوية ويكاد أن ينفجر.

سمعت وقتها صوتا من خلفي يقول: «لا تلتفت يا 9ك وواصل سيرك، وسنتحدَّث بشكل عادي كما لو كنتُ موجودا بقربك لكن لا تنظر إلي!»

إنه صوت صديقي 35م!

وقتها شعرت بهواء بارد جدا على صدري، وخفَّ قرع خطواتي على الرصيف، وظللتُ ساكتا لا أجيبه حتى استطعتُ الكلام.

لقد تبعني صديقي دون أن أدري... وهذا ما كان يهمّني، أنَّ هناك شخصا يهتم بي حقا دون أن يجبرني على شيء أو يرعبني، وأنني لن أموت وحيدا متعفِّنا كذلك المجنون في الفيلم المخيف أو كالقطة الغريبة على الخط السريع، أو كطائر مسنّ يرتجف وحيدا في يد طفل غريب.

8

تمثيل جزئي

استيقظتُ في اليوم التالي وقلبي يملؤه الضيق، لقد شعرتُ بالتضخم فيه مسبقا، لكنَّ ما يثقل عليه اليوم مختلف وغريب...

فكرتُ في كل شيء استطعت تذكُّره، وأنا أراهن على كثير من الأشياء التي غابت عن بالي ولم أتذكرها... أعدتُ الاستماع إلى تسجيلاتي لأفكر فيها مزيدا، وحاولت تذكُّر اللحظة التي بدأ فيها هذا التشويش، وعن السبب الذي رغبتُ من أجله بامتلاك منتج صديق. حاولت تذكُّر السبب الذي أودى بي إلى هذه الحالة، وشعرتُ بالاضطراب كأنَّ هناك حلقة مفقودة. تذكرتُ يوم أن فاجأني صديقي عبر النافذة وهو يلوِّح بالرسوم ولا يتحدث، ثم تساءلتُ: إن كانوا يرونني عبر عيني فلماذا لم يتحدثوا معي بشأن ما فعله صديقي ذلك اليوم؟

هل المستشعرات داخل عيني كانت مطمئنَّة إلى ردود أفعالي تجاه هذا الجنون فلم تنبِّههم بما حدث؟ لا أعلم... ثمة أشياء غريبة لا أستطيع تفسيرها... ومعرفتي الداخلية لا تسعفني أحيانا كما أريد.

ظللتُ محدِّقا بالسقف طويلا ولم أنهض من فراشي بعد...

انقلبتُ جهة اليسار باتجاه النافذة، كل شيء شفاف حتى السقف، وحتى فراشي، كل شيء من حولي شفاف ما عدا الأرض التي يقوم عليها بنائي،

وللوهلة الأولى أتساءل: لمَ تختلف طريقة حياتنا وممتلكاتنا بهذه الطريقة عن الجيل السابق؟

تبدو أبنيتهم مثل الرسوم المتحركة القديمة، كل شيء من حولهم مصنوع من مادة إما خشبية أو حديدية أو قماشية... ولا تكاد الأشياء تكون شفافة لديهم إلا في أواني الطعام والنوافذ تقريبا، وهو زجاج عادي، غير رقمي ولا توجد به مستشعرات كما يحيط بنا اليوم.

هل يُعقل أننا جيل جديد من البشر؟ هل فعلا يوجد بشر مسلوبين بالطريقة التي يتحدثون عنها؟ هل اللقاحات قادرة على قلب عالمنا بهذه الطريقة!

بقيتُ أفكر دون أن أهتدي إلى شيء، حتى رأيت أمي من بعيد وهي تمشي في الشارع متجهة إلى بيتي، ولا أعلم لمَ انتابتني مشاعر غريبة كأنني طفل، أذكر كيف كنتُ أشعر تجاهها وقد كنتُ أحسب أنَّ ذلك يحدث في الطفولة وحسب.

قبل أن تصل إلى المنزل وتطرق الباب كنتُ قد نهضت سريعا وغسلتُ وجهي ونظفت أسناني، ثم ارتديت منامةً نظيفة وشربتُ الماء سريعا، كنتُ سأضع فيه نقطة من ذلك الماء لأتنشط وأبتهج لكن طرأ على بالي أن أنقطع عنه لفترة وأترقَّب حالتي، مع أنَّ الصداع لم يهدأ طيلة الأيام السابقة وعليَّ التحمل والمقاومة حتى أعلم ما الذي يحدث داخل جسدي.

فتحت الباب ولم تصل بعد، كانت تمشي بخطًا متثاقلة، بدا عليها الكبر وتقوَّسَ ظهرها أكثر، وشيء ما في صدري ضايقني كأنه لقمة لم تصل إلى معدتي، وأحسستُ بحمرة تكتسي عينيَّ كأنني سأبكي... لقد مضى زمن طويل على آخر مرة بكيت فيها حتى نسيت كيف يكون البكاء، وللتو

تذكرته... بقيت أحدِّق بها ساكنا حتى تصل ولم أنطق بكلمة، ابتلعتُ غصَّتي وبقيتُ مكتِّفًا يديَّ أرقب شيخوختها البطيئة توصلها إلى ابنها الواقف أمام الباب. هي تعرفه وهو لم يعد يعرف نفسه.

وقفتْ وفي عينيها تتعلق دمعتان تحاول التمسك بهما جيدا، صوتها بدا مهتزّا متردِّدا في حنجرتها، تحاول أن تتكلم بكلام يريحها ولا يزعجني في الوقت نفسه. راقبتُ رجليها كيف تهتزّان كصوتها، ترتدي تنورة تغطي ركبتيها، لكنها في الوقت نفسه تفضح كهولتها وتيبّس مفاصلها، ظلَّت تهتز حتى بعد أن توقفت وحدَّثتني، تهتزُّ كذلك الطائر المسنّ الذي ظلَّ يرتجف للموت بين يديّ حتى سكن... أمعنتُ النظر إلى محاولتها الفاشلة في ضبط جسدها في الوقت نفسه الذي تفكِّر فيه بقول كلام لا يزعجني. أشعر بأنها لم تتخيَّل هذا الترحيب الهادئ بها، كانت تهتزُّ وتضطرم مستعدَّة لمعركةِ رفضٍ لم تحدث.

لقد شعرتُ بأنني للتو فتحت بابي، وأنَّ باب أمي كان مشرعا طيلة الوقت ولم ينغلق في وجهي أبدا.

كنتُ في الوقت نفسه ساكتا لأنني كنت أفكر، لم أستطع الكلام إلا بعد أن تركتُ التفكير، ولن أقول بأنني انتهيتُ من تفكيري، لكنني توقفت عمدا لأنني لا أستطيع القيام بعملين ما، ولتقل عني أمي بأنني آلة؛ فلم أعد أكترث بهذا الكلام.

قاطعتُ كلامها فجأة قائلا: أمي، قولي كل شيء يخطر على بالك، وأعدك هذه المرة أنني سأستمع إليك دون أن أغضب. قولي لي أي شيء فإنني متعب من طول التفكير، وصارت تحدث معي بعض الأمور الغريبة التي لا أفهمها. حينها انصبَّت دموعها كأنها ذلك الشلال الذي لا يتوقف في تلك الحديقة الرقمية المسوَّرة، انصبت دموعها بقوة وخفة مثله، نزلت حزينة متعبة من

عينيها المتجعدتين، كانت تنهمر منهما وتسقط على الأرض ويتكسَّر قلبها في كل ذلك كتلك الأشعة والألوان التي تخترق الشلال، لكنَّ الصراع هنا بين المشاعر والأشياء لم يكن جميلا، لقد كان كبيرا ومؤذيا لي ولها، إنه صراع مؤلم، ولا أعلم كيف وصلنا إليه... وكنتُ أشعر بذلك كأنه شيء يلتهم قلبي، حتى تغيَّر اتجاه انزعاجي من كل شيء.

لم تقل أمي شيئا، وبقيت تبكي وتبكي، وبدأتُ أرى حزنها وهو يسقط متكسِّرا على الأرض حتى فقدتُ وعيي.

عندما استيقظت كانت يدي اليمنى بين كفّيها، عرفتُ أنهما يداها رغم مرور الوقت العريض بين هذه اللحظة وتلامسنا للمرة الأخيرة، بدا لي ذلك الوقت كأنه حاجزٌ قد انكسر بيننا بفقدي لوعيي.

شعرتُ بأنَّ على عيني عصابة تمنع عني الرؤية، وبقيتُ هادئا حتى أحسَّت بانتباهي لها فقالت: لا تخف! لا تفزع! أنت هنا معي، وقد عصبنا عينيك لئلا يرى أحدٌ أين أنت. حينها علمتُ بأنها تتواصل جيدا مع صديقي 35م، وأنَّ هؤلاء القوم قلقون بشأني جدا ويضعون الاحتمالات بشكل دائم ليصلوا إلى حقيقتي أو ليحاولوا إنقاذي مما يشكُّون بشأنه من الأمور.

لم أكن خائفا، كنتُ هادئا مطمئنّا لأن كلمات صديقي كانت ترن في أذني: «أنت آلة معطوبة ولن يرغب في إيذائك أحد».

هذه اللحظة التي استيقظت فيها كانت غريبة جدا، تشبه تلك اللحظة التي استيقظت فيها سعيدا جراء قفزة صديقي؛ لكنني لم أكن سعيدا، ولم أشعر بشيء محدد أستطيع قوله، كل ما هنالك أنني كنتُ هادئا مستسلما كأنني أعوم في الماء، وأنني كنتُ خالي الذهن تماما وقد زال الصداع.

لا أبالغ إن قلتُ بأنني نسيتُ من أنا وقتها، ولم يكن يعنيني أي شيء،

لم أكن مكترثا بشيء من حولي، ولعلَّ الذين يجلسون في الغرفة كانوا منتبهين إلى ذلك، فسألوني عن كل شيء ليتأكدوا هل عقلي موجود أم أن مكروها أصابني.

كان هناك صوت شخص كبير، يبدو هادئا وناضجا ويطرح أسئلة كثيرة عن صحتي، علمتُ لاحقا أنَّه الطبيب، وكانوا جميعهم خائفين جدا لأنني لم أبدِ أية ردة فعل تجاه الأصوات والأدوات التي جربوها علي، لقد قال لي هذا الطبيب بأنني كنتُ أتنفس بهدوء وجميع مؤشراتي تعمل جيدا لكن حالتي لم تكن طبيعية؛ فلم أكن نائما ولا مستيقظا أتأثر بهم، شيء غريب يشبه عدم الاتصال، أي كما لو أنَّ هناك جهازين ويعملان لكن لا اتصال بينهما دون فهم سبب للعطل. هكذا فهمت من كلامه.

- سألته: كم ساعة بقيتُ هنا؟

- أجاب: أنت هنا منذ ثلاثة أيام!

وأنا هنا في العتمة شعرتُ لأول مرة بالانتماء والهدوء. إنني لا أبصر شيئا ولا أفكر بشيء ولا أحنُّ إلى شيء لأول مرة، حتى منتج صديق الذي كنت أبحث عنه بإلحاح؛ لم يعد يزعجني غيابه.

فكرت قليلا برغبتي في الأشياء التي كنتُ أريد أن أشتريها: منتج صديق، والدين جديدين، عشيقة... لا يوجد الآن ما يجذبني تجاه ما يقع في الخارج إطلاقا. إنه أنا في صورتي الخام، في حقيقتي، إنه أنا الفكرة، فلا أشعر بجسدي ولا أرى، ولا يمكن لشيء أن يضرني منذ أن توقف قلبي عن التضخُّم. وكم تمنيتُ أن أبقى هكذا في اللامكان، في العتمة التي لا يتعقَّبني فيها أحد. إنه الموضع المناسب لي.

ضربتُ رأسي أكثر من مرة لأتأكد من زوال صداعي، وبالفعل وجدته

اختفى أخيرا، وكفَّ عني شعوري المرعب حول ترقُّب تضخُّم قلبي جراء كل ما يوترني.

- سألني الطبيب: بمَ تشعر؟

- قلت له: لا شيء!

- ماذا تريدون مني الآن؟ ما الذي أفعله وأنا مُمَدَّدٌ هكذا بلا فائدة؟

- قال لي: أودُّ سؤالك إذا ما كنتَ ترغب بالشفاء أوّلا...

- أجبته: لا أعلم بمَ أنا مُصابٌ به لأتمنى الشفاء، أنا خائف بالمعنى الأدق، ولا أرغب في أي شيء حاليا.

- قال: نعم، الخوف عرض شائع لمثل حالتك.

- سألته: ما حالتي؟

- أجاب: أنت تعلم... حالة النصف بين البشر والآلة...

- سألته: هل سأُشفى؟

- قال: في حالتك أنت تحديدا لا أعلم، أنت لديك أعراض غريبة قليلا فلا يستجيب جسدك لكل شيء، وليست لدينا أدوات متطورة لنعلم ما خطبك.

- قلت له: آلة معطوبة!

ضحك قليلا ثم قال: لن أستطيع أن أقول ذلك فأنت بالتأكيد لستَ آلة.

- أجبت: ولستُ بشريًّا بالكامل... أنا شيء كالمسخ بين هذا وذاك حتى ما عدتُ أعرف نفسي.

سكت، وازدادت الشهقات المكتومة التي كنت أسمعها منذ بدء الحوار؛

إذ كان يتسلَّل إلى مسامعي صوت شهقات أمي. لم تستطع إخفاء بكائها، لكنني هذه المرة لم أمرض منه ولم يتضخم قلبي كالعادة، شيء ما غريب استيقظ بي منذ فترة وأنا الآن أشعر به وبتغيُّري، لكنها لم ترَ ذلك، لم ترني متغيِّرا، ربما تريد التعامل معي كما كنتُ أطلب منها، ولم أطلب منها أن تتغير، سبق وأن قيل لي بأنَّ الكبار في السن لا يتغيرون بسهولة، فتركتها على حالتها...

ظللتُ ممدَّدا، أهيم في محاولات لتخيُّل حياتي بعد أن لقنوني تعليمات طويلة عريضة عن هويتي الجديدة: الممثّل.

لا أعلم كم بقيت أتخيَّل وأفكر، لكنني سمعت صوت موسيقى قديمة لم أسمعها منذ صغري، سألتُ عنها فقالت لي أمي: إنهم يعزفون في الخارج أمام النار. سكتنا قليلا، ثم قلت لها: أودُّ أن تصفي لي المكان ونحن نتجوَّل فيه، فهلَّا ساعدتني على النهوض؟

جلستُ على السرير وهي ما تزال تمسك بيدي، ثم قالت لي: قف، واستندتُ على كتفها، بدت لي ضئيلة الحجم، وشعرتُ باهتزازات ضعفها كذلك العصفور المسن الذي مات في يدي.

قادت تحركاتي في الغرفة، مشيتُ بضع خطوات ثم توقفت قليلا، قالت: نحن في آخر الغرفة تقريبا، من خلفنا السرير وهو يقع أمام الجدار، وأمامنا الآن غرفة واسعة، بها خزائن كثيرة، أغلب ما فيها أدوات طبية.

أمسكت بيدي تقودني إلى الخزائن، تحسستُ المكان كطفل صغير، وامتلأت يدي بالغبار الذي لم أشعر به منذ فترة طويلة، ذلك الملمس الغريب الذي يخبر اليد عن زمن مكث الأشياء على حالها. عطست أمي أكثر من مرة عندما بدأتُ بتحريك الغبار من على الأرفف، إنها أرفف مختلفة عن رفّ اليوم التي اعتدتُ عليه في كل مكان.

سألتها عن لون الأرفف فأجابتني: بعضها أبيض وبعضها رمادي باهت، وأنا ما زلت أراها داخل عقلي شفافة زجاجية تلبي ما أرغب بالحصول عليه عاجلا.

سألتها عن السرير واللحاف، فأجابتني بأن السرير مصنوع من المعدن كسرير المستشفيات القديم، والأغطية زرقاء. لاشيء شفاف في الغرفة سوى بعض المحاليل الطبية وبعض علب الدواء وأبواب الخزائن والنوافذ في الحائط.

وصفت لي الأرضية، كانت من الخشب. أخبرتني بكل شيء، الساعة والتقويم وملفات المرضى... صورة القمر وكيف يبدو كالوجه غير المكتمل، رسومات الأطفال الذين يأتون للمستشفى جراء جروحهم وحروقهم وبقية إصاباتهم، كيف رسم الطفل وجه صاحبه حين كُسرت سنّه، وكيف رسم والديه، وصفت لي رسومات الأطفال وكيف يُحاكون كلَّ شيء من حولهم ببساطة كأنّهم ينفذون إلى دواخل الأشياء. وصفت لي أمي كل شيء تقريبا... كانت تتحدث باسترسال، وكنتُ أتخيل الأشياء وأتحسسها بيدي كأنني طفل.

وصلنا إلى نهاية الغرفة وصار صوت العزف واضحا أكثر، بدا لي أنها فتحت الباب لنخرج، أمرتني بالسير قليلا حتى نزلنا قرابة خمس عتبات، والموسيقى ما تزال تهدر في آذانهم، وأشعر وأنا في صميم عتمتي بطربهم لها.

عبرني تساؤل تفكَّرتُ به: لمَ لا نطرب مثل هؤلاء أنا وأصحاب المدن الزجاجية؟

طلبت من أمي أن تصف لي المكان في الخارج بالتفصيل، وصفت لي إياه: نار وحطب ومقاعد خشبية والشباب والكهول والنساء والأطفال منتشرون في المكان وأكثرهم يفترش الرمل. يوجد على بُعد ثمانية أمتار تقريبا من

يمسك بالعصا ويرسم ويخطُّ بها على الرمل، وبعضهم يرقص، وآخرون غير منتبهين للموسيقى لأنهم ما يزالون يتناقشون فيما بينهم، وآخر هناك يتطلع في عيني حبيبته.

ومن بعيد أسمع أصوات الصغار وضحكاتهم. قالت أمي إنهم يفترشون الرمل ويبنون قصورا كثيرة، وأحيانا يظلُّون فوق الشجرة في البيت الذي بُني في أعلاها من أجلهم. لا أذكر آخر مرة رأيت فيها طفلا، لكنني حاولت أن أتخيل أشكالهم وهم يلعبون وتمنيت أن أراهم وأجلس معهم.

قالت أمي وهي تتخيل أنني أنظر معها لكل أولئك: أتذكر تلك الحلقة من مسلسلك الكرتوني المفضل وأنت صغير؛ حين كان الصبي (أربعات) ذو القبعة الزرقاء يعزف في البرية أمام النار ومن حوله أصدقاء الرحلة، ثم هبَّ الهواء واحترقت قبعته في النار فظللتَ تضحك، ثم طلبتَ منا إحضار قبعة زرقاء مثلها وظللتَ ترتديها قرابة عام؟ أتذكر؟

هززتُ رأسي موافقا كأنني أذكر، ثم قالت: المنظر الآن يشبه المشهد في تلك الحلقة، حتى أن الرجل الآن يرتدي قبعة زرقاء. ثم ضحكت وشعرتُ باهتزازات ضحكتها في يدي، لكنني لم أستطع الضحك، بل عاودتني تلك الرغبة الجامحة بالبكاء عندما كنت واقفا عند الباب أنتظرها.

سألتها: أتذكرين رقم الحلقة؟

قالت: نعم، سجلناها وهي موجودة لديك في صناديقك، أظن اسمها رحلة إلى البرية، الجزء الثالث.

سمعتُ بعد ذلك أجيج النار، وشعرتُ بأنهم رموا فيها شيئا يلهبها. كان الجو بديعا، وفيه لسعة الشتاء في الأماكن البرية، أشعر بالبرد بالتأكيد لكنني لا أبرد، إنه أمر عجيب أعرف ذلك، لكن هذا هو ما حصل، أشعر بالأجواء

لكنها لا تقتلني حرا أو بردا.

تصف لي أمي الأضواء بأنها خافتة، قالت بأنَّ سر السهر هو الظلام، وفي الظلام يكمن ملح السمر، كلام أمي دائما يبدو رائعا في صياغته، ليس مثل كلامي، على أية حال فإنني وافقتها الرأي، من عمق عتمتي أوافقها بالطبع.

ومن بعيد سمعت صوتا غريبا يخرج من مكان مغلق، قالت لي أمي بأنه موقد مغلق للنار، يحرقون فيه بعض الأشياء التي يريدون التخلص منها، وشعرتُ بالرعب منه، بدا لي مثل غرفة العذاب المصغَّر.

كل شيء كان رائعا في هذه الليلة، حتى أنني لعنتُ وقتها الأشياء الزجاجية الشفافة التي تحاصرني، وشعرت بدمعتي لأول مرة تتسرَّب من العصابة، فرحت لأن الشيء الذي استيقظ بداخلي بدأ يطلب الحياة ويتحسَّسها بيديه كطفل صغير وهو يمسك بيد أمه باكيا.

زفرتُ: آه.

ثم لعنت أولئك الذين في عينيّ وتمنيتُ أن أقتلعهما.

أعجبتني تلك العتمة، وبقيتُ معهم يوما رابعا لأعيش ما يعيشونه وأنا أسمح للأشياء بأن تحاول الاستيقاظ في ذاكرتي... بعدها أعادوني إلى منزلي، بعد أن وصف لي طبيب المزرعة برنامجا غذائيا وعلاجيا من شأنه أن يساعد أعصابي على التعافي من آليتي المحتملة.

استيقظتُ في اليوم الخامس وأنا في فراشي، وبدأت أراجع الخطة في عقلي بأن أفتح عينيَّ بشكل عادي روتيني، محاولا أن أخدع من يسكنها بكوني نائما طيلة هذا الوقت، مطبِّقا كل نصائح القوم وإرشاداتهم، لكنَّ صوتي الداخلي ظلَّ يقول لي: «آلة معطوبة... آلة معطوبة».

9

متابعة الطلب

منذ استيقاظي وأنا أفكر بهم وما الذي سيقولونه لي عندما يأتون، وكيف سيصوغون أسئلتهم بشكل لا يشعرني بتلصّصهم علي، فعلى الآلة أن تستثمر كونها آلة حتى وإن كانت معطوبة!

عندما صحوت لم أفتح عينيّ كما أفعل تلقائيا؛ إنما أبقيتهما مغلقتين كأنني ما زلت نائما، أردتُ الإحساس بالعتمة مجددا وكيف تمتلك قدرةً على أن تصلني بنفسي كأنني منتمٍ للعدم.

لقد أعدتُ داخل عقلي ذكريات الأمس؛ عندما كنت محبوسا تحت عصابة عيني، كنت أتخيَّل حياتهم من حولي وهم ملتحمين ببعضهم كأنهم نظام تشغيل واحد، يستطيعون تبادل الأحاديث والنكات ويفهم كل واحد منهم ما يقوله الآخر، وأنا مستلقٍ بجسدي لا أرى شيئا ولا أفهم ما الذي يدور من حولي، ومع ذلك الشعور الغريب إلا إنني كنت حزينا وفرحا في آن واحد، حزين لأنني لستُ مثلهم، وفرحٌ لأنني أبصرتُ حياةً أخرى رغما عن العتمة وحياة الأرفف اليومية الجاهزة.

عندما انتهيتُ من عيش تلك التفاصيل داخل عقلي؛ صحوتُ كالمعتاد، كأنني لم أخض شيئا غريبا في الأيام الماضية. شربت الماء ثم تناولت رقائق الذرة مع الحليب، وأخذت كوبا من القهوة. وبقيت أقلِّب بعض الصناديق

القديمة التي أمتلكها محاولا تذكُّر الشكل القديم لحياتي.

كانت الصناديق نظيفة كأنني وضبتها قبل قليل. وقعتُ على الحلقة المنشودة وأخرجتُ الشريط، وظللتُ أعيد تشغيله عدة مرات محاولا التذكر.

حينها رنَّ جرس الباب أخيرا، تطلَّعتُ بنظرات متفاجئة، حاولت إبقاء كلام صديقي نصب عيني بألا أُحدِث أية ردة فعل تستثيرهم ضدي، وبقيت كلماته محفورة في بالي وتتردد بصوته: «أنت آلة معطوبة».

وأنا جالس في مكاني أستطيع رؤية من خلف الباب بسبب الزجاج الذي يحيط بي من كل جانب. فتحت الباب ورحَّبتُ بهم ودخلوا، كانوا خمسة أشخاص، اثنان منهم يرتديان السترة الشفافة ذات الأطراف اللامعة كأنهم في مهمة رسمية، والبقية منهم ملابسهم عادية لا يميزها أي شيء.

- ماذا أقدِّم لكم؟مكتبة سُر مَن قرأ

- لا شيء، جئنا لنطمئن على أمورك.

- أنا؟ ماذا هناك؟

تطلعوا إلى بعضهم، وقال ذو السترة الشفافة: ماذا فعلت في الأيام الماضية؟

أردتُ التلاعب بهم قليلا؛ فقلت: هل حدث أمر سيئ؟ هل هذا استجواب رسمي لتحضروا بهذه الطريقة؟

شعرت بتفاجئهم وتوترهم، ارتبك أحدهم وهو يحاول أن يجيب وقاطعه آخر: لقد قمنا باستدعائك من أجل النبتة قبل أيام، وأردنا أن نعلمك بأنه قد تمَّت متابعة الطلب وانتيهنا من مراجعة كل أوراق البيع واعتمادها والأمور على ما يُرام.

- قلت: جيد! هل هناك شيء آخر؟

تطلَّعوا إلى بعضهم وهم مترددين ومرتبكين، سأل أحدهم: أين كنت في الأيام الماضية؟

- أجبته: كنتُ نائما، أشعر بصداع خفيف يلازمني على الدوام فلم أفعل أي شيء مميز.

- قال آخر: سنجد حلا لهذا الصداع الذي طال أمره! لعلنا نستدعيك في وقت آخر لنعطيك علاجا يحسَّن وضعك.

- قلت له: لا داعي، شكرا لاهتمامك، في وسعكم الانصراف.

انصرفوا وأغلقت الباب، ثم نظرت إلى النبتة اللعينة وأنا أحاول التمثيل: وأنتِ يا عزيزتي هل افتقدتني عندما كنتُ نائما؟

لم أنتظر ردَّها الذي يرعبني ويقرفني، أعطيتها ظهري وهي تحاول أن تتحرك بحركات مثيرة لم ألقِ لها بالا.

10

عروض مغرية

وجدتُ هذا اليوم عدة مكالمات من المتجر القريب مني، وأحسستُ بأنه أعاد توفير منتج صديق.

شعور مختلَطٌ أصابني، ومزاجي السيئ صار متقلبا ومختلفا؛ فلم أعد أفكر بامتلاك منتجِ صديق، وأشعر بأنَّ المنتج توفَّر لي خصِّيصا، هكذا ألحَّت علي معرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء.

ربما كانوا يسعون إلى السيطرة علي ومعرفة ما الذي أفكر به... لا أعلم.

تجاهلتُ المكالمات ليومين، وكنت أذهب وأجيء من عملي كما أفعل في الأيام العادية، وكل شيء يسير بشكل طبيعي حتى وردتني في المساء مكالمة من ذلك الضابط الذي أعرفه، الضابط 4ب.

توتَّرتُ عندما سمعت صوته مع أنه لم يتصل من رقمه بل من رقم دائرته، لكن لديَّ ذاكرة لا تنسى أي صوت تسمعه، وهذه نقطة من ضمن النقاط التي تتمسك بها أمي حين رأتني آليّا.

دعاني الضابط لمراجعتهم قريبا، وتوقعتُ أنه سيعرض عليَّ منتج صديق، وكان ما توقعته؛ فعندما حضرت إلى ذلك المبنى الزجاجي الشفاف الذي يحوي غرفة العذاب المصغر - داخل عقلي على الأقل -؛ رأيت من بعيد منتج صديق الذي امتلكته قبل سنوات! كان يبتسم لي ويحيّيني، أصابني الغثيان

من رؤيته، ولم أبتسم أو أبادله التحية، فقد رفض جسدي مجاملته ولم أستطع إجبار نفسي على ذلك.

جلس الضابط بعد أن تركني في الغرفة لساعتين، كان منتج صديق ينظر إليّ من بعيد وأنا أتعمد تجاهله، وفي هذا ما لا يُطاق من الضغط، وشعوري بالقرف والغثيان كان في ازدياد على غير عادتي.

شعرتُ بأنه سيتم الضغط علي لأعاود شراءه بعد أن فشل صاحب المتجر في التواصل معي، وبالفعل كان شعوري في محله.

عندما تحدث الضابط؛ سألني عن حال نبتتي اللعينة وأجبته: إنها بخير. كنتُ سأقول بأنني أحبها كثيرا لكن لم أستطع الكذب ببساطة.

سكتَ طويلا وهو يقلّب الأوراق، ثم عبس وأخرج من جيبه وهو مستاء كمّاشة صغيرة. هذه المرة لم أرتعد ولم أشعر بتضخم القلب، لقد كنتُ أبقي عقلي في العتمة لئلا أتأثر بأي شيء على الإطلاق، وكلمات صديقي ترن في أذني: «أنتَ آلة معطوبة، لن يحاول أحد إيذاءك».

أعادَ الضابط النظر إلى الأوراق وأخرج زفرةً غاضبة، ثنى حاجبيه وكشَّر قليلا كأنه سيضرب أحدا، ثم لوَّحَ بالكماشة وقال: تبّا! اللعنة!

بقيتُ ساكنا لا أتجاوب معه مبقيا عقلي في العتمة، وصور ذلك الشخص في الفيلم وهو يقلع أظافره وأصابعه بنفسه تلتمع في مخيلتي.

نظر إلي متذاكيا بسؤاله: آه! نعم! ماذا كنا نقول؟!

- قلت: لم نقل شيئا.

أخذ ينظر لذلك الشيء في عينيَّ، وشعرتُ بأنه يحاول أن يعرف هل أدَّعي ما يراني عليه من صلابة أم يشك بأمري.

ثنى شفتيه كأنه لم يجد شيئا ذي بال، ثم قال بوضوح:

- هل تريد شراء منتج صديق نجمي؟ تعلم أنك من نخبة المواطنين ونحن نهتم بأمثالك.

- أجبته: لا، شكرا، إنني أحاول التعافي من احتياجي إلى أحد.

- قال: لا بأس، انصرف الآن.

لقد أثار دهشتي هذا الاستدعاء الغريب، وشعرتُ بالتشوُّش قليلا، أيصدقونني ويتركونني ببساطة أم يستدرجونني؟ هل هذا ما كان يقصده صديقي 35م عندما قال بأنني سأرى الأعاجيب؟!

لا أعلم... لكن بعد يومين من هذا اللقاء اتصل بي طبيبي ذو الكماشة الحديدية الكبيرة، يسألني عن حالي ويود أن يعيد فحوصاته لي.

- قلت له: لا، شكرا، أنا بخير.

- قال لي بنبرة حادة: لديك في ملفاتك نقص في بعض التحاليل، تعال في أقرب فرصة لإكمال الفحوصات وإلا سأبعث من يجلبك!

أثار دهشتي ذلك الطبيب، لكنني لم أبدِ ردة فعل لأنني ما زلت أذكر تنبيهات صديقي لي، وكنتُ أودُّ رؤية الطبيب وهو يخلع وجهه ويجبرني على فعل ما يريد، فإن هذا الموقف - إن حدث - سيثبت لي أنَّ ما أمرُّ به ليس وهمًا على الإطلاق.

بقيتُ أنتظره لأيام كيف سيجلبني رغما عني... كيف سيقتحم بيتي ويعطيني ما يشاء من الأودية واللقاحات، لكنَّ ذلك لم يحدث، ولم يعد الاتصال بي بعدها ولم أهتم، لم أهتم لدرجة أنني لم أعد أسجِّل أحاديثي كالسابق كالتزام يومي.

11

حدود العتمة

عندما دخلتُ المنزل بعد أيام من مكالمة ذلك الطبيب الأحمق؛ كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساءً، وقتها شعرتُ بصداعٍ غريب مفاجئ ثم لمعت صورة منتج صديق في عيني فجأةً في جزء من الثانية واختفت؛ فزاد الصداع بنسبة تفوق عشرة أضعاف الألم قبلها، هكذا فجأة من لا شيء! فارتعبتُ.

كان على هيئة ذلك الذي رأيته عند الضابط، كان منتج صديق الذي أسميته سبعتي لأنني كنتُ متأثرا وقتها بفراق 7أ، ولم يأتِ في بالي غير اسمها. ولا أعرف ما اسم هذه الحالة التي التمعت فيها صورته فجأة داخل عيني كأنني أراه في الوقت الذي انتابني فيه صداعٍ غريب، أتراها ما كان ذلك الجيل يسميها حُلما؟ أم أن الحلم يقتصر على النائم وحده؟

شعرتُ بتلك النبتة اللعينة تتحرك وأنا في أوج ألمي واستغرابي، ومن دون أن أنظر إليها قلت: كيف حالك يا حبيبتي؟

أحسستُ بها تتمايل لتثير غرائزي لكنني حافظتُ على عدم النظر إليها. قلت لها: هل تودين أن أجلب لك منتج صديق يسلينا معا؟

اشتد تثنّيها واشتد تجاهلي لها، لم أكن اليوم على ما يُرام وها أنا الآن متعب على غير عادتي وينتابني صداع قوي.

تطلَّعتُ في كل أرجاء المكان الزجاجي، الظلام الذي يأتي من الخارج أشعر أنه يحدّق بي داخل المنزل الآن وقد صار ضبابيا.

لمعت في عيني صورة منتج صديق مجددا بشكل أقوى من النوبة التي سبقتها، ذلك اللعين يقحمونه في عيني مجددا... شعرت بدوار وانتفض جسدي، وفي انتفاضتي أقسم أنني رأيتُ في ذراعيَّ شيئا كالضوء، كلمعة بروق السماء بالضبط، الوريد في يدي يضيء كأن الكهرباء تسير في كل أوردتي وشراييني، ثم شعرتُ بأنَّ هناك بداخلي محطة كهرباء كاملة.

ازداد الوميض ومسكتُ رأسي بكلتا يدي وضربت به على شيء ما، لقد هويتُ به على شيء ما... أنا متأكد من ذلك، وأحسستُ به منفصلا عن جسدي... سمعتُ بعدها صوتَ تحطُّم ولم أعلم هل كان الصوت صادرا عني أنا الآلة المعطوبة؛ أي لم أعلم هل كان ذلك صوتُ تناثري في الأرجاء، أم أن شيئا آخر تحطَّمَ، أم أنني أهلوس بدءا من ذلك المنتج اللعين الذي ما زال يلتمع بداخل عيني رغما عني. كل ما أذكره أنَّ ذلك ما حدث بالضبط وأنني بعدها فقدتُ الوعي تماما.

لم أعلم وقتها أنني لبثتُ طويلا فاقد الوعي، لكنني استيقظتُ على طرق باب قوي، كانت الطرقات مصحوبة ببكاء، عرفتُ بأنها أمي، شعرت بذلك، كنتُ نائما على الأرض، لم أكن ملقيا بل نائم، أي أن هناك وسادة تحت رأسي ولحافا يغطيني وبجانبي النبتة التي أعلم أنها وقت مداهمة تلك النوبات الغريبة كانت بجانب الباب! أي بعيدة جدا، ولا أعلم لمَ استيقظتُ وهي واقفة بحوضها إلى جانبي. نعم هي نبتة ذكية ولعينة لكنها لم تكن تمشي!

كان رأسي ثقيلا، لا أعرف كيف أصف ذلك لكن بالفعل كان ثقيلا، نظرتُ إلى يديّ وكانتا سليمتين، لا أضواء ولا بروق ولا ندوب. بحثت عن

شيء يوحي بتحطُّم ما، لكن كل شيء كان مرتبا ونظيفا، تذكرت الفيلمين وشعرتُ بالرعب!

قمتُ من مكاني وفتحت الباب ووجدتُ أمي واقفة وهي تنتحب، شعرتُ بالاطمئنان قليلا لأنَّ هناك أحدا يتفقّدني، على الأقل لن أموت متعفّنا كالرجل في ذلك الفيلم، ولم أفهم لماذا لم تفتح الباب وتدخل وهي تمتلك نسخة من المفاتيح.

- سألتني: لمَ لا تجيب على هاتفك؟

- أجبتها: لا أعلم، للتو فقط استيقظت.

- قالت: أنا أتصل بك منذ أسبوع ولا أحد يجيب، وهاتفك يرن، هل فقدت وعيك؟

تذكرت ذلك اليوم حين فقدتُ وعيي وأخذوني وبقيت عندهم لأربعة أيام معصوب العينين.

- قلت: ربما، لا أذكر شيئا، ربما أذهب الآن إلى صديقي 35م، يجب أن أراه.

وقتها فاجأني منتج صديق وهو يضع مئزر المطبخ ويمسك بمغرفة الحساء وهو يقول: هل أحضر لكما شيئا؟

حافظتُ على عينيّ لئلا تتسعان من الدهشة ورنّت في أذنيّ تحذيرات صديقي من إبداء أية ردّة فعل تجاه الأعاجيب التي ستحدث لي.

لاحظت النبتة تتثنى من بعيد، ومنتج صديق يبالغ في إظهار السعادة على وجهه ببلاهة، فقلت لأمي: هل تفضّلين البقاء في المنزل أم نخرج قليلا؟

- أجابت بوجه مضطرب: فلنخرج!

أغلقتُ الباب بهدوء من دون أدنى تجاوب مع كل ذلك الجنون الذي يحدث في الداخل.

وأنا خارج من المنزل، جلسنا قليلا أمام الحديقة الزجاجية، كنتُ مشوَّشا جدا وأحاول أن أفهم ما الذي يجري، وعندها انثنت عليّ شجرتي المفضلة لتحضنني، لكن أمي صرخت وهربت من المكان.

ربتُّ على الشجرة برقَّة لئلا تموت حزنا، ثم اعتذرتُ منها وتركتها للحاق بأمي، لم نتحدث عن أي شيء في الطريق، فما تزال أمي على القلق ذاته تجاه ردود أفعالي القديمة؛ وتفضّل أن تكون بصحبتي على الكلام والنقاش.

طلبتُ منها أن تعصب عينيّ، ثم قلت: أود أن نذهب سويا لتلك المزرعة التي ذهبتُ إليها حين فقدتُ وعيي أول مرة.

12

المنتج في الداخل

عندما عدت إلى تسجيلاتي وجدت آخر أسبوع غير مسجَّل، صحيح أنني أهملت بعض التسجيل اليومي، لكن لم أنقطع طيلة هذه الفترة، أي أنني بالفعل كنتُ فاقدا الوعي أسبوعا كاملا، وفي أثناء غيابي عن الوعي جرت عودة منتج صديق، ولا أعلم هل تواصل مع النبتة ليدخل أم لا، ولا أعلم كذلك إن كان الطبيب الذي هدَّدني ضليعا في ذلك أم لا، كل ما أعرفه أنني لستُ على ما يُرام، والفجوات في ذاكرتي أكبر من قدرتي على التفكير الجيد.

توقُّعهم حول عدم ممانعتي لأي شيء يحدث كان يقلقنا أنا وطبيب المزرعة وصديقي 35م، فلم أفهم ما الذي يرمون إليه من إدخال منتج صديق إلى حياتي، ولم أفهم كيف أفقدوني الوعي لأسبوع، أما صديقي 35م فقد كان يرى أنني حقل تجربة ويسجلون الأعراض التي تطرأ على سلوكي وتعاملي معهم ليقودوني إلى شيء أعظم، وعلى إثره فسيحدِّدون كيفية التعامل معي وبعض النتائج الأخرى المتعلقة بإنترنت الأجسام والأشياء وتطويرهما.

وطبيبي يرى أنني قد تعرضت للتشويش فعلا، لكنّه لم يصدّقني تماما، لقد رأى أن المكملات الغذائية والأدوية العلاجية التي صرفها لي قد يكون لها دور فيما آلت إليه الأمور في آخر أسبوع. أما قلب أمي فقد كان يقول بأنهم يتلاعبون بي وسوف يخفونني للأبد في المرة القادمة ولن يكتفوا بأسبوع.

بقيت لديهم في المزرعة أياما كنتُ فيها معصوب العينين، وهو أمر قاسٍ في مكان تجهله، وأنا في هذا الوقت أجهل كل شيء في العالم ولا أفهم شيئا مما يحدث حولي.

أمي لم ترِد مني العودة إطلاقا، أرادت أن أفتح عصابة عيني للأبد وألا أخرج من المزرعة، ورأت أن وجودي بينهم في الوقت نفسه أكبر حصانة لي.

رجعتُ إلى المنزل لأرتب أموري، كأن شيئا استدعاني، صوتٌ خفيٌّ كالفضول دعاني لأعود أدراجي، مع أنني كنتُ سعيدا جدا في آخر زيارة إلى المزرعة. لقد كنتُ معصوب العينين لكن يدي كانت بيدي 7أ، لقد هاتفتها أمي وحضرت لأجلي، ولا أعلم كيف عرفتُ بوجودها من دون أن أرى أو أن أشم شيئا متعلقا بها، وجدتُ نفسي أقول لها: كيف حالك يا سبعة؟

انبهرَ الجميع وسألوني عن الكيفية التي عرفت بها ذلك، وقلت لهم: لا أعلم، وأنا فعلا لا أعلم، فمنذ فترة طويلة وأنا أتصرف وأعرف الأشياء تلقائيا.

سمعتُ الذي قال: حدس الآلة!

لقد آذاني قوله، شعرت بشيء أكثر من الانزعاج، شيء يشبه المرض في القلب، لكنني تجاهلت ما قاله.

عرفتُ أنهم سمعوا قوله، وأنهم يعرفون بتجاهلي له، فقد خفَّت الضوضاء فجأة كأنهم كانوا يحدِّقون إليه، ثم صدرت عن أمي زفرة آلمتني؛ حيث التمعَتْ بذاكرتي بضعة صور من مناوشاتنا القديمة ومن تصرفاتها التي كنتُ أراها غير منطقية. إنها الآن ما تزال غير منطقية، لكنني على الأقل أتفهَّمها.

لقد قضيت تلك الفترة في التنزه مع سبعة في المزرعة، وأنا معها وهي

تصف الحقول والمواشي ومنظر رشاشات الماء تسقي النباتات.

شعرتُ بلفحات الهواء بشكل مختلف هذه المرة؛ حيث طلبتُ منها تغطيتي بأي شيء لأشعر بالدفء، وقد اعترى صوتها الرضا والسعادة بهذه الأمنية، ولا أعلم من أين لي ذلك، لكن التمع في ذهني منظر وجهها بدقة، وعندما قلتُ لها: أنتِ الآن تبتسمين من دون أن تظهر أسنانك؛ ابتسامة خفيفة تظهر غمازتك الوحيدة، ونظرك يتجه إلى الأمام نحو الأعلى قليلا، ويدك اليسرى تعبث بأطراف شعرك المتجهة إلى اليسار.

لقد أطلقت ضحكتها المرعوبة قائلة: أنت مجنون! كيف ترى ذلك؟

- قلتُ لها: صدقيني لا أعلم، أنا أراكِ داخل عقلي هكذا، فهل تعتقدين أنها صدفة؟ أم أن بي خطبا ما؟

حينها قالت لي كلاما عذبا جعل قلبي يرتجف كأنه مصعوق بالكهرباء: لعلك شخص تحب... وعين المحب مبصرة على الدوام.

نعم، لعلي أحب فعلا، ولكنني أحب هذه المرة من دون أن يتضخم قلبي، أحب وأشعر بالدفء وبالبرد، أحبُّ كأنني بشريّ وهذا ما يقلق من حولي، لكنني سعيد، الآن فقط شعرتُ بالرضا والسعادة والاطمئنان على نفسي وأرجو ألا أعود إلى حياتي قريبا، أرجو أن أفارقها لأكون بين هؤلاء الناس الدافئين بأي طريقة كانت.

13

غرفة الجحيم

ما إن خرجتُ من المزرعة حتى فتحت عصابة عيني في الطريق داخل المدينة، أردت بذلك تشويشهم إن كانوا يراقبونني فعلا.

كنتُ وسط المدينة صباحا، ولم أرغب بالعودة واكتشاف المزيد داخل منزلي، ذهبت إلى وحدة إعادة تدوير الأصدقاء القدامى وقدمتُ طلبا بالتخلي عن منتج صديق الذي أحضروه داخل منزلي، والتخلي كذلك عن النبتة اللعينة، وطلبتُ التوجه إلى المنزل لأخذهما ودفعت قيمة ذلك.

ومن حقوق العميل الجيدة أنني وقت التخلي عن منتجاتي فإنه لا شيء يلزمني بذكر السبب؛ فقد تم التوقيع على عريضة بعد استعمال الناس للمنتجات؛ طالبوا فيها برفع هذا الاستفسار لأن فيه تدخُّلا في شؤونهم.

لكنني ظللتُ متوجسا من استجوابي، وكنتُ مرعوبا قليلا من إبقائي في تلك الغرفة المعتمة، وقد طال تفكيري في صياغة أسباب مقنعة مع صديقتي سبعة وصديقي 35م في حال تم استدعائي كما حدث مع تلك النبتة اللعينة يوم أن وضعتها عند الباب.

لقد حرصت على تسجيل كل ما أذكره بهذا الخصوص لئلا أشك فيما حدث مستقبلا، مع أنني لا أشك في نفسي وفي تصرفاتي إلا حين يحاولون إيهامي ببعض الأمور.

لم أرجع إلى المنزل إلا حين تأكدتُ تماما من أخذ منتجاتي اللعينة بعيدا. وحين تم تأكيد ذلك عدتُ بكل راحة.

دخلتُ منزلي وكل شيء في مكانه المعتاد، أخذت حماما دافئا والهدوء يعم الأرجاء، وافتقدتُ تلك الموسيقى التي تصدح في المزرعة لكن لا بأس، أعرف أنهم يعلمون بأننا لا نطرب للموسيقى ولا لأي شيء من شأنه إثارة مشاعرنا وأذواقنا، لذلك لن أدير أي شيء حاليا حتى أستطيع الهرب من كل هذا الجنون.

طرأ في بالي أن أهاتف وحدة النقل السري وأنتقل إلى مكان جديد، لكن قلت في نفسي سأدع هذا الأمر للغد لأنني مرهق.

حين فتحت غطاء سريري لأنام أخيرا؛ ظهر نور مفاجئ من ذلك المكان واقتحم رأسي كالصداع وصار كل شيء أبيض لامعا؛ مما جعلني أغلق التسجيل بيدي فورا وأغلق الهاتف لأنني عميتُ بالفعل، وشعرت بأنني سأفقد الوعي، ولم أتجاوز دقيقة من الوقت حتى فقدتُ وعيي بالفعل.

لم أعرف كم مضى على فقدي للوعي؛ لكن عندما فتحت عيني حاولت أن أبقى هادئا، لقد كنتُ في مكان يشبه مكان عملي، يكاد أن يكون مطابقا له، لكنَّ تلك المعرفة المسبقة بالأشياء جعلتني أدرك أنه ليس هو، لقد كنتُ مستلقيا كأنني مريض في مصنع مليء بالأرفف الزجاجية والمعاطف البيضاء، كان الجميع فيه يرتدي معطفا أبيض، وفي أياديهم محاقن أو ضمادات أو مناشير، أجل! لقد رأيتُ مناشير!

أصابني رعبٌ شديد عندما استيقظتُ وأنا أعلم عبر معرفتي المسبقة بالأشياء أنني أتعرض للخداع والإيهام، شيء مثل التلاعب بالعقل، وعندما أدركت تغيُّر درجة حرارة جسدي بناء على رعبي؛ حاولتُ ضبط نفسي وإبقاء أعصابي قوية بلا تأثر، تنفست بعمق، وحاولت تركيز نظري عبر

صور مستعادة للمزرعة وسبعة، ورحتُ أعزف الموسيقى داخل عقلي، تلك الموسيقى التي استمعتُ إليها أثناء وجودي في المزرعة.

ما زاد من رعبي هو انتباهي للأجساد المعلّقة من بعيد، لقد كانت أجسادا بشرية لكنها تبدو كالدمى، لا أعرف كيف أصف الأمر، كانت كالدمى لكنها تتحرك وتنظر في اتجاه من يمر بها، لكنَّ طريقة تعليقها كانت غريبة، كنتُ في مصنع كأنه ملحمة قديمة أو مشرحة أو مستودع لحفظ اللحوم، أي أن الأجساد معلّقة بكلاليب معدنية وهي في حالة غريبة، كانت ترى وتنظر وتلتفت، وبعضهم يحدِّق إليّ، لكن لا أظنهم كانوا بشرا. هل كانوا خط إنتاج جديد؟! لا أعلم!

انتابني رعبٌ شديد من المنظر، وتذكرتُ غرفة العذاب المصغَّر التي رأيتها في الأفلام، ولم أعلم لماذا لم يستجوبوني مباشرة، ولماذا أستيقظ في مكان كهذا، ألهذه الدرجة كنتُ تجربة مهمة؟

تذكرتُ شيئا سمعته قديما عن الجحيم، كانت هناك أشياء عن عالم مستقبلي ينال فيه المرء جزاءه على الأفعال التي قام بها في حياته، كلام قديم لم يعد الآن إلا تراثا لا أحد يردِّده ولم أستطع تذكُّره جيدا. قلت في نفسي: هل أنا في الجحيم بين الأجساد المعذَّبة؟ ولمَ أنا نائم هنا؟ لم لا أنضمُّ إليهم في عذابهم؟

وأنا أحاول الحفاظ على هدوئي، كانت بعض الأعمدة التي عُلِّقت عليها الأجساد تقترب، وبعضها كان يدور بجانب ممرّ، رأيتُ أحد الذين يرتدون المعاطف البيضاء يقف في الممر، ويضغط على زرّ جانبي لتتوقف الآلة عن تدوير الأجساد المعلّقة، وقام باقتطاع فخذ أحدهم ومضى، ولم ينزف ذلك الفخذ، لكنَّ صاحب الجسَّد تأوَّه واضطربَ وجهه قليلا ثم قال لصاحب المعطف غاضبا: اللعنة عليك! لقد شوَّهتني!

عاد صاحب المعطف عندما سمع الجسد يتحدث، وبصق على صاحبه ومضى.

شعرت بحدقة عيني تتسع ثم حاولت التحكم بما رأيت، وأنا في مكاني لا أشم رائحة اللحم على كثرة الأجساد المقطوعة والمسلوخة وكثرة إعمال المناشير فيها، لم أشمّ أي شيء سوى روائح المنظفات، وظللتُ صامتا هادئا أحافظ على تماسكي وأنا ممدَّد على السرير.

لا أعرف كم بقيت على هذا الحال؛ لكنَّ طبيبا جاءني ووقف قبالتي لخمس دقائق دون أن نتحدث، مجرد تحديق طويل مرعب يشبه ذلك التحديق البارد الذي قابلتُ به منتج صديق نجمي؛ ذلك المنتج المستورد الذي تسببتُ بإعدامه ببرود شديد.

ارتجفَ قلبي لحظة تذكُّري له، لكنني حاولت الحفاظ على صلابتي.

كان الطبيب أصلع، يرتدي نظارة غريبة بلا إطار، مجرد عدستين ولا أعرف كيف ثبتتا أمام عينيه، وجهه بلا لون كأنه بلا دماء، كان وجهه مرعبا فلا شعر في وجهه أو على رأسه، كما أنه بلا شفتين تقريبا، وأنفه حادّ جدا كأنه زرّ في حائط. عيناه السوداوان هما من تستطيعان كشف ما يفكر به قليلا.

بقي محدِّقا بي كأنه ينتظر أي ردة فعل، ثم التفت ناحية اليمين وأشار إلى أحدهم وهو منزعج.

اقتحم عليَّ المكان بعد ذلك أشخاصٌ كثر بدوا لي أطباء في مرحلة التدريب، ولا أعرف ما الذي قاله لهم، لكنهم تحدثوا بلغة غريبة، وقد أدركتُ وقتها السبب وراء عدم اتقاني لأي لغة!

لم يكن بمقدور الشخص مع النظام الجديد اتقان أية لغة قديمة أو معاصرة مهما حاول ذلك، حتى التراث القديم بقي تراثا إنسانيا ملكا للسلطات، وإن

أرادَ أي فرد الاطلاع عليه فإنه لا يفهم ما المكتوب في كتبه.

بعد دقيقتين تقريبا من تحدُّثه معهم؛ نظر في مجموعة أوراق ثم نقل بصره على الشاشة الموصولة بي عبر الأسلاك. حاول أن يتحدث مع الآلة ولكنها لم تعطه أية قراءة مقنعة حولي. ظلَّ ينقر على عدة أزرَّة بها وظلَّت تصفِّر ولا تتجاوب كما يريد، معرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء أكَّدت لي هذا الأمر.

حينها تمتمَ قبل أن ينصرف: آلة معطوبة!

ولم أعرف من كان يقصد، أكان يقصدني أم يقصدها.

انصرف الطبيب الأصلع قليلا ثم حضر مع فريقه وفي يديه علبة كبيرة، عندما فتحها تذكرت تهديد طبيبي ذلك لي!

لقد كانت العلبة ملأى بالحقن، وهنا ارتجف قلبي مجددا وأظن الآلة قدَّمت قراءة عن ذلك لأنه التفتَ ناحيتها ودقّقَ نظره فيها لدقيقة تقريبا.

بعد ذلك اقترب الطبيب مني أكثر، وضع عينه في عيني، ومن خلفه طلبته الكثر، مطَّ عيني وآلمني، تحدَّث إلي بأكثر من لغة، ثم سألني بلغتي قائلا: هل تعرف من تكون؟

اخترتُ ألا أجيب، تذكرت صديقي 35م عندما نصحني بألا أتجاوب مع أي شيء لئلا يعرف أحدٌ منهم ما خطبي.

حينها تمتم وقال: آلة معطوبة! ولم أعرف أيضا من يقصد بذلك.

نظر ناحية طلبته وراح يشرح أشياء تتعلق بالإبر وهو يشير إلى الشاشة. وبعد أن هزّوا رؤوسهم موافقين، تقدم نحوي، وأمسك بمرفقي، تفحَّصه جيدا ثم حقنني بواحدة.

لم أستطع إبداء أية ردة فعل، فقد كانت الأجساد من خلفهم تشير عليّ

وهي تضحك، وكنتُ أرى نفسي بينهم وأنا أخشى أن تكون هذه معرفتي الداخلية المسبقة تنبئني بمصيري!

حافظت على صلابتي، حتى شعرت بأنني أفقد الوعي. راودني أمل كبير بألا أفتح عيني مجددا. رجوتُ ذلك من صميم قلبي وأنا أراقب جسدي كيف يخور ويتداعى وكيف تحلِّق روحي إلى الأعلى حتى عمَّ البياض كل شيء. ولم أمضِ وقتا طويلا حتى انقطع نظري ووعيي بكل شيء حولي، حتى بالجاذبية.

14

سيدة مصنوعة

شيء ما وأنا وسط هذه الفوضى استدعاني لألقي عليه نظرة، شيء كان يصرخ ويصرخ، وزاد وعيي بالتدريج حين شعرتُ بأن هذا الصوت هو صوت أمي.

فتحتُ عيني وأنا غير مصدِّق، وما زلت أرى البياض يلفُّ المكان، حاولت أن أرى، حاولت تحريك عيني ببطء تجاه الأعلى والأسفل، تجاه اليمين واليسار، وظللتُ متماسكا وأمي تصرخ بلغة لا أفهمها، كانت تتحدث مثلهم بالضبط، وهو ما زاد من تعجبي.

بعد دقائق رأيت شيئا خاطفا، فعلمتُ أن بصري يعود بالتدريج. هدأت الصرخات وتبدَّلت إلى أنين خافت، وكان قلبي يتمزق. شعرتُ برطوبة في عيني فعلمتُ أن روحي تئن وتبكي.

حاولت الحفاظ على تماسكي، وانتظرت البصر يعود بالتدريج، حتى صارت الأشياء ضبابية، وما زال ذلك الصوت قريبا ويئن.

بعد مضي ساعة تقريبا في هذا العذاب، بدأت أرى، هي بالفعل أمي، ترتدي تلك التنورة التي تغطي ركبتيها، نعم هي ذاتها! تلك التي بدت بها عند بابي كعصفور مسنّ، كانت ترتعد كثيرا وهي على الأرض، وكانت شفتاها ترتجفان بلا توقُّف، والأجساد من بعيد تشير إليّ بحركات وإشارات لم ألتقطها جيدا لضبابية رؤيتي.

حينها رأيت الطبيب دخل الغرفة مجددا، ثم فتحَ عينيَّ بقوة خلتُ معها أنه سيقتلعهما، كان كمن يفتِّش فيهما، وبقيتُ محافظا على صلابتي وتماسكي. تذكرت أمنيتي تلك بأن أفقد عيني للأبد، أن يأخذوهما مني، وسألت نفسي: هل هم يحققون أمانيَّ بالفعل؟

ذهب الطبيب قليلا، وحاولت ألا أبدي ردة فعل تجاه ما حدث. بعد دقائق بدأت الرؤية تزداد أكثر، وبدأت إشارات الأجساد المعلَّقة تتضح لي، لكنني لم أفهمها إطلاقا، وحاولت ألا أنظر إليهم لأن منظرهم كان مقرفا، وجوههم كانت مخيفة، وكانوا يستثيرون شعور الاشمئزاز والحقد تجاههم بدلا من الرحمة والحزن، ولا أعلم السبب.

وأنا أفكر في أي شيء يجعلني أسترخي؛ اقتحمَ الغرفة الطبيب مجددا مع طلبته، وكانوا مزودين هذه المرة بالمناشير ومعهم كمَّاشة حديدية كتلك التي فتحت صدري، مثلها بالضبط. تملَّكني الرعب لكنني حاولتُ ألا أبدي أي اهتمام، حتى بدأت أمي تصرخ فاهتززتُ قليلا.

سحبها الطبيب أمام عيني، وقطع إحدى رجليها بالمنشار وأنا أرى، صرختْ بشكل جعل الزجاج القريب منا ينفجر، فعمَّت الفوضى في المكان.

صراخها كاد يفقدني أنفاسي، وشعرتُ معه بألمٍ في صدري لم أشعر بمثله.

قام الطبيب بنشر رجلها كأنه ينشر طاولة، ثم نشر الرجل الثانية، ثم يدها اليمنى، وعندما بدأ يقطِّعها كاملة فقدتُ اهتمامي بمتابعة ما يحدث بأطراف عيني، كأنّ عقلي ذهب بعيدا، كأنه ترك المكان بلا رجعة. شيء ما في داخلي كان يرجو أن يكون ذلك كله ما يسمونه (حلما).

بدأت أشعر بنبضي يهدأ ويخفت، وجسدي يبرد، وبدأت أشعر بالثقل يكتسح كل شيء حتى حركة عيني.

انتبهتُ إلى تفصيل صغير فقط: لم تكن أمي تنزف إطلاقا. إنها لم تكن مثلهم، إنها ليست أمي، أو أنني أتوهم، أو أنني أحلم، وأيا كان الشيء الذي أمر به الآن... متأكد أنه ليس حقيقيا.

تمسَّكتُ بتلك الحقيقة وأنا أفقد وعيي، ورجوتُ هذه المرة من صميم قلبي ألا أعود إلى الحياة مجددا.

شعرتُ حينها بشيء ما أمسك بيدي بشكل محكَم لكنْ بحنان، وأحسستُ بتلك المسكة أنَّ شيئا ما كان معي، شيء ما لا أعلم ما هو ومن هو ولا أستطيع أن أراه. تساءلت في سري وكان آخر ما خطر ببالي وقتها: هل هذا هو الموت؟

شعرتُ بعينيَّ تتوهان في البياض مجددا، وشعرتُ بأنني أطفو بلا ثقل وبلا إحساس بجسدي. أخبرتني معرفتي الداخلية المسبقة بالأشياء أنهم ينشرونني الآن كما فعلوا بالأجساد من حولي، كما فعلوا بأمي، لكنَّني كنت هادئا وأطفو داخل بياض لا حدَّ له.

لقد فقدتُ وعيي وذلك الشيء يمسك بيدي بإحكام وحنانٍ بالغَين جدا... ورجلي تهتزُّ بقوة كأنها تُنشَر.

15

المعرفة الداخلية

شعرتُ بشيء يدبُّ بداخلي، شيء كأنه للتو استيقظ، كأنَّني للتو رجعت أتنفس بشكل طبيعي، وأحسستُ بالاتجاهات مجددا، أدركت أن جسدي مسجَّى، وأحسستُ بدفء اليد القوية الحنونة في يدي، إنها ما زالت تمسك بيميني.

لا أعرف لماذا صرختُ صرخة واحدة وجلستُ بزاوية قائمة في جزء من الثانية، كأنَّني مرعوب من وجودي!

لقد استيقظت في المزرعة، بدأت أشمُّ رائحتها في أنفي! نعم يبدو أنها المزرعة! كما أنني بلا عصابة على عيني!

نظرتُ يميني وإذا بها سبعة!

لم أشعر بهذا قبل أن أراها!

أين معرفتي الداخلية ذهبت؟ لم أعلم...! ولم أشعر بأي شيء قبل أن أصل إلى هذا المكان وأنا على هذه الهيئة.

كنتُ مغطى بأكثر من لحاف أبيض ثقيل، لاحظت بأنني أرتجف وأتعرَّق، وقد بدا ذلك غريبا. تذكَّرتُ تقطيعي بالمنشار! تذكرت إحساسي بالمنشار في رجلي، وفتحت الأغطية بقوة ووجدتُ رجليَّ موجودتين كما هما، حينها ضحكت!

نظرتُ إلى سبعة، وكان في عينيها مزيج من الخوف والسرور، قلت لها: ماذا حدث؟

قالت: لقد وجدوك متوسِّدا الشجرة الضخمة التي تبدو وحيدة على الطريق إلى المزرعة.

أعلم أنهم يتلاعبون بي، ويخفون الثغرات الزمنية التي تصحب فقدي للوعي، ويحاولون إيهامي بأنني على ما يُرام!

نظرتُ إلى يدي التي حقنوها فلم أجد أي أثر، بالطبع لن أجد أثرا! وكما اختفت آثار كماشة قلبي فسوف تختفي كل الآثار من جسدي... لكنني ظلت متأملا بأن تكون الأقراص التي وصفها لي طبيب المزرعة قد أحدثت بي تغييرا.

وقفت على السرير وأنا أخلع ملابسي قطعة قطعة كالمجنون لأرى أي علامات في جسدي لكنني لم أرَ أي شيء. قلت في نفسي: لعلي أجد شيئا نسوه!

حينها ضحكت سعيدا برؤيتي لرجليَّ كاملتين، وعدتُ تحت أغطيتي.

سمعتُ أحدهم يقول: «يبدو أنه جُنَّ فعلا» لكنني لم أكترث.

وما إن رأيتُ أمي تقبل عليّ وهي تمشي مهتزَّة كذلك العصفور المسنّ، تمشي لوحدها على رجليها حتى صُعِقت، بدت لي أمي حينها لأول مرة إنسانة كاملة بضعفها واهتزازها وقلقها المزمن وكل تجعيداتها العميقة، بدت لي كاملة بشكل مبهر، ظللتُ أنظر إلى خطواتها بتمعُّنٍ ودهشة وحنان وإشفاق؛ كأنني أنظر إلى أحبّ الأشياء إلى قلبي، وقتها أدركتُ أنها فعلا أحب من يكون إلى قلبي، فانهرتُ تماما وبكيت بشكل يفوق الوصف وأنا أخرُّ ساجدا تحت قدميها، ودموعي تغسل قدميها كأنها مطر.

ظنَّت أمي أنني محتاج إليها وحسب، أو أنني مشتاق إليها، لكن ما إن هدأت قليلا وشرحت لهم ما حدث معي؛ حتى قال طبيب المزرعة: «الأطباء والعلماء جنود هذا العصر حقا!»

- قلتُ له: ما الذي تقصده؟

- فسألني: هل ترى جنودا في مدينتكم؟

- قلت له: لا!

قال: لا توجد دولة لا تحتاج إلى جند، لكنَّ الجميع هناك مسالم ومسيَّرٌ تقريبا لأن الأطباء ضبطوكم على النحو المطلوب.

أصابني كلامه بالصداع والدوار، وشوَّشني، تذكرتُ ذلك المعلَّق الذي قطع الطبيب فخذه وبصق عليه، لكنني قررت عدم التفكير بذلك الآن.

سادت بيننا لحظة صمت طويلة؛ علمتُ من خلالها أنَّ الكلام الذي يحبسونه عني في هذا الشأن كلام طويل جدا، لكنَّ الطبيب قطع ذلك بقوله: أخبرني! هل شربت ذلك الماء المرقمن الذي يعلنون عنه؟

- قلت: نعم، شربته لفترة ثم تركته بعد الأحداث التي حصلت.

- قال لي: إنه ماء مزوَّد بمادة سامة، ولم نستطع تحليله جيدا لأننا نحتاج إلى إجراء أكثر من تجربة وأكثر من تحليل له، وهو لا يُتاح لنا ولم نستطع جلبه لأنهم يتعقَّبون المشتريات بشكل يضيِّق علينا التواصل مع منتجاتهم. لكن الغريب في أمر هذا الماء أنه لا يقتلكم، وقد كانت تلك المادة في السابق محظورة. يبدو أنها نترات الفضة، ويبدو كذلك أنها ممزوجة بشيء آخر، وقد عولجت بأكثر من طريقة لتكون مناسبة لكم أنتم فقط، وتمَّ إدخالها للجسد عبر مراحل طويلة من خلال اللقاحات. وإن صدق ظني فإنهم بحاجة لإفقادك الوعي ليسيطروا على جسدك لأنه قوي جدا.. جسدك أقوى

مما تتخيل، إنك تستطيع قتل أي شخص بإصبعك إن ركّزته عليه، فالمادة تترسب في نهايات الأعصاب وتجعلها قوية للغاية، وأنت غالبا لا تشعر بالإرهاق لفرط نشاطك وقوتك، لكنك تشعر بالصداع جراء تراكم هذه القوة في جسدك وتحتاج دائما لموازنتها، هذا هو تحليلي لما تمرّ به.

تذكرتُ تلك البروق اللامعة التي سرت في ذراعيّ بعد الصداع الذي شعرت به، وتلك النبتة التي ماتت عندما أبعدتها عني بإصبعيّ، أتراها ماتت بسببي لا بسبب حزنها مني!

ذكرتُ هاتين الحادثتين للطبيب فضحك قائلا وهو يصفق يديه ببعضهما: لقد علمتُ ذلك!

طلبتُ منهم أن يحضروا صديقي 35م، لكنهم أخبروني باختفائه المفاجئ، وقد حسبوا أننا اختفينا معا بسبب ذلك الموضوع الذي خشيه وحذرني بسببه.

سكتت مفكّرا بكل تلك الأشياء الغريبة، ثم سألتهم:

- كم طالت غيبتي هذه المرة؟

- قالت أمي: شهرا، وحسبتك لن تعود، قالتها وصوتها يهتزّ في حنجرتها كأنها تغصُّ به.

سكتت طويلا، حاولت تذكُّرَ أي شيء عن صديقي 35م، لكنني لم أذكر وجوده في المكان الذي كنتُ فيه؛ المكان الذي كان كمصنع أو مشرحة أو محل طبي لبيع الأعضاء، مكان غريب حقا وممتلئ بالرعب.

- سألت طبيبي: لماذا صدقتني هذه المرة ولم تعتبرني مهلوسا؟

- قال لي شيئا لا أنساه: بينما كنت فاقدا الوعي بشكل غريب كأنك نائم؛ كانت إحدى رجليك - تلك التي توهَّمتَ قطعها - تهتزّ، في الوقت نفسه

كانت رجلا أمك تهتزان وتؤلمانها، وبدا لي أنَّ هناك علاقة بين الأمرين لكنني لم أفهمها حتى تكلمت، وعندما قلتَ ما قلته توقفتْ اهتزازاتكما معا، إنه شيء غريب حقا!

أما أنا؛ فلم أجد ذلك شيئا غريبا، لقد اعتبرتُ أنَّ معرفتي الداخلية قد وصلتني بأمي وأوصلتها بألمي، وجعلتني أشعر بيد سبعة تمسك بي بحنان وأنا مخطوف في ذلك المكان المجنون، وتسرَّبَ إلى نفسي الأمل أن توصلني معرفتي الداخلية كذلك بصديقي 35م لأنني صرت متأكدا من أنَّ مكروها ما قد أصابه.

16

تجربة القوة

ترددتُ طويلا في العودة إلى منزلي، وأصابني رهاب حقيقي من كل شيء زجاجي أو شفاف، حتى صرتُ أشرب الماء في المزرعة بكوب فخاري.

هجرتُ عملي، وكنتُ سأواصل هجره كأنني شخص متوفًّى، لم أعد أود الظهور بصفتي مواطنا متحضِّرا إطلاقا، لكن صديقي 35م في تلك اللحظات هو من كان يبقيني متصلا بالعالم الخارجي اللعين.

بعد أيام من محاولات التعافي والتماسك؛ رأيتُ أن أعود إلى منزلي وإلى عملي، وألا أخضع إلى أية محاولات للاستدعاء، ولو كان صديقي موجودا لظهرت في وسائل الإعلام مفصِحا عما حدث لي من تلاعب وتخويف وحقن إجباري بمواد مجهولة، لكنه ليس هنا، ولا أستطيع التوجه للصحافة إلا حين يوجّهني بذلك، وأظنه سيُحسِن استعمال هذه الفرصة جيدا في التشويش على النظام الجديد.

قبل أن أعود إلى المنزل رأيت أن أرتب أفكاري وأراجع الأمور منذ البداية، فاستمعتُ إلى كل التسجيلات في هاتفي، وطرأ لي أن أبحث عن توفر منتج صديق مجددا؛ فلم أجده قد توفَّرَ إطلاقا، ورأيتُ خبرا عن الاستعداد لإطلاق خط إنتاج الأطفال. يبدو أنهم رأوا أنَّ توفير الأطفال أسهل من توفير الوالدين، لا أعلم! ولم أعد أرغب في امتلاك أي منتج من أي خط إنتاج، لكنَّ شيئا ما دفعني للبحث عن ذلك.

دخلتُ منزلي ووجدته كما تركته، لا أثر للغبار كالعادة ولا أثر لأي تغيير، ووجدتُ المنشفة التي استعملتها قبل أن أفقد وعيي معلَّقة كالعادة في مكانها المخصص لها، وسريري كان كما أذكره آخر مرة: مرتب تماما، لكنَّ اللحاف كان مفتوحا من جهة الوسادة بسبب تلك الحركة التي أصابتني في عينيَّ جراء النور العالي الذي خرج من ذلك الموضع.

ارتعبتُ عندما رأيت الوسادة وعندما تذكرتُ ذلك النور، ولم أشأ التوجه إلى سريري ولا لمسه.

خرجتُ من البيت مرعوبا، وكنت أشعر بالغضب والمرارة وأتصبب عرقا. ظللتُ أمشي على غير هدى وأعود وأجيء ثم أذهب، وأفكاري تجول بعيدا من دون أن أشعر بشيء، حتى مررتُ بالحديقة القريبة من المنزل، وقد انتبهتُ إلى إحساس شجرتها المفضلة بي، رأيتها كيف تمايلت بمجرد أن اقتربتُ منها، لكنني لم أتجاوب معها، وطرأ لي في تلك اللحظة أن أعرِّج بالمتجر القريب مني.

وما إن دخلتُ المتجر حتى وجدتُ منتج صديقٍ متوفر وموضوع على الأرفف الشفافة؛ تلك الأرفف التي أزعجني فراغها هي نفسها ما تمتلئ الآن بالمنتجات التي أرغب بالحصول عليها.

عندما أقبلتُ على المحل شعرتُ بحركة غير عادية داخله، وما إن فتحت الباب حتى بدا لي أنَّ صاحب المتجر كان ينتظرني، شيء ما بداخلي أوحى لي بذلك، كان ينتظرني فعلا ويلحُّ بشرائي لهذه المنتجات الجديدة النجمية الرائعة.

وقفتُ صامتا وأنا أنظر إلى المنتجات، وتركته يتحدث ويحاول أن يقنعني بها، وعلى الجهة المقابلة كل أنواع اللحوم الجديدة متوفرة. لم أعد راغبا

بشراء أي شيء من ذلك بعد أن دخلت المزرعة، وما زلتُ متوترا من نظرية المؤامرة لكنني صرتُ في ناحية أهلي وأصدقائي، بالطبع لن أكون بصف المتسببين بفقداني لوعيي!

ظللتُ أتطلع إلى المنتجات في المحل، وظللتُ أستمع إلى ثرثرة البائع متأملا أن يقول شيئا يثير اهتمامي، لكن بمجرد أن لمح عدم رغبتي بالشراء حتى تذمَّر وعاد إلى كرسيّه وهو محبط.

خرجتُ من المحل بهدوء، وتوجهت إلى الحديقة القريبة وجلست على مقعدي المعتاد. دنت مني شجرتي المفضلة تعانقني، فطرأ لي أن أجرب مفعول أصابعي هذه المرة، أتراه ما زال يعمل بعد هذا الخطف والحقن!

أبعدتها رويدا رويدا لئلا أؤذيها، وحاولت لمس بعض الأشجار القصيرة ومداعبتها، ووكزتُ إحداها مركزا قوتي بطرف إصبعي؛ وبالفعل انكمشت وتضاءلت وما هي إلا لحظات حتى ذبلت واسودَّت أجزاؤها، حينها علمتُ أنني ما زلتُ قويا، وداخَلَني شكٌّ بأنهم يحاولون سحب قوتي مني قبل أن أتحول إلى حليف قوي لجماعات المنشقِّين.

عدتُ إلى المنزل، وقد شعرت بالجوع قليلا، ولم أرغب بإعداد أي طعام.

جلستُ قليلا وأنا أفكر بالكيفية التي أصل بها إلى صديقي، ثم رأيت أن أعود إلى المزرعة لأنام وآكل وأخرج في اليوم التالي للبحث عنه.

إنني لم أعد أخشى شيئا مذ أدركتُ محلّ قوتي، المهم ألا أجلس في أي مكان غريب يفقدني وعيي، وبدا لي منزلي في تلك اللحظة غريبا جدا.

17

المتلازمة

رغبتُ برؤية صديقتي 7أ، فلم أكن على ما يُرام عندما كنتُ معها آخر مرة، كنت مشتَّت الفكر، ومع ذلك لم يتزعزع إحساسي المميز تجاهها، وأظنها لاحظت كل ذلك، هكذا علمتُ وشعرتُ.

لم أعد أشعر بأنني في حاجة لوضع عصابة على عيني، لكنني كنت أتعمّد عدم النظر الجيد لهم وهم يتكلمون خشية أن يتم فهم كلامهم بأية طريقة بسبب المستشعرات في عيني.

كنتُ أشعر بصعوبة حياتي، ولا أعلم السبب، لم أعلم كيف صار جسدي بين بين، بين الآلية والبشرية، بين التصرف الطبيعي والمتصنّع. لقد شعرت بصعوبة أن يتكلم أحد ما وأتجاهله بعيني، شعرت بصعوبة إفلات الدهشة لئلا أتورط بالمشاكل بسبب تدقيقي النظر في وجه أحدهم، شعرتُ بأنني سأكون عبئا دائما، الشعور الذي ينتابني لأول مرة في حياتي، وقد كنتُ أرى كل شيء عبئا، أمي وأبي وصديقي وهؤلاء الناس الذين كنت أراهم مجانين، الآن أرى تحوُّلَ هذا الشعور وارتداده إلى نفسي: إنني عبء، ولا أعرف طريقة أستعيدُ بها نفسي، فأنا لا أعرف طريقة العودة، أعرف أن أطيع أوامرهم وحسب.

بتُّ أشعر بالفاصل بيني وبينهم، كأننا مادتان مختلفتان لا تمتزجان إطلاقا،

وصار الفزع يتملكني بدرجة رهيبة حين أفكر بالمستقبل، أأكون غريبا هكذا للأبد؟!

ما الذي قد أصنعه في المستقبل؟ وأي مستقبل لي؟

ما الذي يمكنني فعله هنا في المزرعة؟ كل حياتي وخبراتي وأموالي التي اكتسبتها واكتسبتُ مهاراتها تؤهلني للعيش في النظام الجديد وحسب.

فكرتُ في المدة التي قد أعيش بها، وعندما تذكرتُ احتمال طول حياتي؛ اكتأبتُ قليلا. إن كنتُ سأعيش وقتا طويلا فماذا أصنع وأنا أرى كل من أحب يرحلون قبلي. لقد بدت هذه الفكرة جحيما يفوق ما شهدته في ذلك المكان المجنون المليء بالأجساد المشوهة.

ذكرتُ لأصحاب المزرعة الخبر الذي سمعته عن خط الإنتاج الجديد للأطفال، وأصابهم الرعب، فارتعبت معهم؛ فقد عاد الرئيس لمفاجأتنا عبر إطلاق خط إنتاج الأطفال بلا مقدمات أو لوائح تنظيمية، وصدم الجميع بذلك.

وفي أثناء نقاشنا عن الفكرة ازداد فهمي للهوَّة بيني وبينهم، وكبُرَ سؤالي حول المسافة التي قد تصلني بهم يوما، إنني بعيد جدا عنهم، فهم يفهمون الأمور كلها بطريقة مختلفة، طريقة عميقة وذات نظر بعيد يفوق نظري السطحي للأشياء.

تساءلتُ في داخلي: هل المستشعرات داخل عينيّ جعلتني قصير النظر إلى هذا الحد؟!

ونحن نتناقش عن خط الإنتاج الجديد للأطفال؛ فكرتُ في أنني قد أحتاج إليه، فلا أظنهم قد أنتجوه إلا وهم يعون أننا سنكون بحاجة إليه لعدم الإنجاب.

تطلعتُ في عيني سبعة، كانت نظراتها تنتقل بين الوجوه في محاولة لفهم الموضوع بشكل جيد، ثم تنظر إلى وجهي الصامت لتحاول فهمي أنا الآخر، ورأيتُ أنها قلقة من تغيُّرات النظام الجديد، وتسرَّبَ إليَّ قلق من نوع آخر؛ أن أكون بحاجة ماسة لهذا الخط كي أستكمل حياتي، أوشكتُ على قول شيء ما، لكنني سكتتُ لأن النقاش احتدَّ كثيرا، وعرفت أنَّ ثمة تمرُّدا آتيا لا محالة، كما كان ذلك التمرد تجاه خط العشيقات، معرفتي الداخلية المسبقة حول الأشياء أكدت لي ذلك.

أتتني فكرة أخرى؛ أن أتبنَّى طفلا طبيعيا، لكنَّهم أخبروني أن ذلك مستحيل كما هي محاصرتهم في خط الحيوان؛ فدور الأيتام صارت تحت وصاية النظام الجديد، وقد طوَّعوا من فيه من الأطفال ليكونوا مثلي وأسوأ من حالتي بكثير، فإن لم أتبنَّ أطفالا كما يشاؤون فلا مجال لتبنّي أي طفل آخر خارج خط إنتاج الأطفال.

لقد حرموني من نفسي، لقد جرَّدوني من كل ما يصنع لي هويَّة ووجودا بشريًّا عاديًّا، ومضوا في ذلك شأوا بعيدا جدا حتى بات كل شيء غريبا جدا علي؛ بدءا من والديَّ، وانتهاءً بذريَّتي المحتَمَلة.

بقي تساؤل واحد ظل يلحُّ عليَّ كثيرا طيلة اليوم: من التي قد ترضى أن ترتبط بي؟ أتراني إن رغبتُ بسبعة أجدها تبادلني الرغبة أم تريد شخصا طبيعيا عاديا لم يتورَّط بهذا القدر في النظام الجديد؟

ظللتُ أفكِّر بهذا الأمر وأنا أتقلَّب في فراشي حتى غادرتني الرغبة في النوم؛ فخرجت للهواء الطلق، شعرتُ به يدخل روحي وينفض جسدي بالبرد، عدتُ إلى الداخل أحمل لحافي لأقدرَ على مجابهته.

وأنا جالس شعرتُ بالقمر وهو يحدِّق لي، تقول أمي أنه في وسع كل

شخص أن يشعر بالقمر يمشي معه ويحدق إليه وحده. لقد شعرت بذلك، لكنني شعرت بشيء آخر؛ كان شكل القمر وتضاريسه البادية بوضوح من مكان جلوسي على حافة الشرفة مختلفا تماما عما هو في اللوحات المرسومة والصور القديمة الموجودة على جدران المزرعة، ولم يكن هناك بدٌّ من ملاحظة هذا الاختلاف؛ فكل شيء مختلف هنا حتى الهواء.

هل تغيَّرتُ للأبد مثل القمر؟

فكرت في أن أسمي الأشياء المتغيرة للأبد بسبب النظام الجديد «متلازمة وجه القمر»، ثم بدأت بتحديد الأشياء من حولي التي أُصيبت بهذه المتلازمة.

قريبا من الشرفة من جهة اليسار؛ ثمة شبان يوقدون النار بالحكايات والقصص، وقد كانت تلك التجمعات تحبطني لأنني أفتقد للمعلومات الأساسية التي ينسجون حولها القصص والطرف. ظللتُ أتطلّع عليهم كيف تتناغم صرخاتهم وضحكاتهم وأصوات استياءاتهم من بعض القصص كأنهم قد اتفقوا مسبقا على ذلك، إنهم يتشاركون الحياة كلها مثل اللغة، وفي وسع التجربة أن تكون حياة كاملة كاللغة، كالرغيف الواحد في بطن واحد، الأمر الذي أفتقر إليه لأن كل شيء بي ليس ملكي.

كان المخزن البعيد مشتعل الأضواء، ثمة من يحرق بعض الأشياء في الموقد المخصَّص بالمحروقات، تساءلتُ بداخلي عما سيحرقونه في مثل هذا الوقت، لكنني لم أذهب لأرى، شعرتُ بأنني أحترق من الداخل مثله، وكان يكفيني ما أنا فيه من محروقات شتى أُلقيت بجوفي هذا النهار وما زلتُ مشتعلا بها.

كنت أجلس على حافة الشرفة وقدماي تتأرجحان، أتأمل وأفكر بكل ذلك، حتى شعرتُ برجلي اليسرى تهتزُّ كأنها تُقطع من جديد، تخيَّلتُ هنا أن لديهم نسخة مني، ولديهم من أمي نسخة كذلك، وإلا من كانت تلك المرأة التي قطّعوها أمامي وهي تصرخ؟!

وأنا أفكر في ذلك، تخيَّلتُ أن لديَّ طفلا، وهو بحوزتهم الآن، وأنني أفعل كل شيء لأنقذه منهم. مجرَّد تخيُّلي لشكلِ طفلٍ هو طفلي جعلني سعيدا مبتهجا فكيف لو كان لي طفل فعلا! أتراني سأجنُّ به كجنون أمي بي سابقا؟

وجدته أمرا لطيفا يفوق لطف أي أمرآخر، وتمنيتُ أن يكون ذلك صحيحا بأي ثمن كان! وهي أمنية غريبة، فلطالما راودتني الأمنيات حول التخلُّص من الأشخاص والأشياء.

حينها شعرتُ باليد الحنونة القوية تمسك بيميني كما أمسكتها في ذلك المكان الجحيمي، وقالت وصوتها باذخ بالتبسُّم: هل تفكر بي؟

اكتفيتُ بالنظر في تلك العينين دون أدنى كلمة، وقلبي كان يقول: نعم أفكر بك يا سبعة، نعم أفكر بك، نعم ولا شيء غيرك يا قمري الحقيقي الذي لم يتغيَّر.

18

اليد من الخلف

بعد جلسات نقاش وحوار طويلة ومتعددة مع أهل المزرعة؛ قرَّر الجميع أن يتم تزويدي بأكثر من جهاز للتعقُّب قبل الذهاب إلى مبنى صحيفة الأراضي القديمة لأسأل عن صديقي 35م.

خرجتُ حاملا حقيبة ظهر مزوَّدة بقطعة صغيرة للتعقب، وفي جيوبي أجهزة أخرى للتعقب، وأخذت معي الطعام كذلك لئلا أضطر إلى تناول أي شيء في المدينة.

لاحظت فور اقترابي من مكان عمل صديقي أنَّ هناك هدوءا مريبا بالمكان، ومعرفتي الداخلية ألحَّت عليَّ بأن المكان مراقب.

استدرتُ لخوفي على نفسي، وبقيت أتطلع من بعيد على الضوء الأخضر المقابل لمكتب صديقي متأملا أن يُشعل، لكن يبدو ألا أحد في المكتب.

في منتصف النهار، رأيت أن أدخل المبنى من الخلف، فظللتُ أتفحص المكان بعينيّ حتى رأيتُ شاحنة كبيرة تقف أمامه، ونزل منها أكثر من عامل يحمل أدوات مكتبية، كانت الصناديق بالعشرات، فمررتُ بجانبهم بعد أن دخلوا المبنى وخرجوا مرارا، حملتُ صندوقا مثلهم ودخلت خلفهم بدقيقة تقريبا، ولم يوقفني أحد.

وضعتُ الصندوق في إحدى الممرات، ثم اتجهت للسؤال عن صديقي،

رفض مديره أن يعطيني أية معلومات عنه مع أنه يعلم مدى علاقتنا وصداقتنا المتينة. أخبرتُه أننا نفتقده ولا نعلم أين ذهب، ورجوته أن يخبرني إن كان في مهمة رسمية تستلزم التخفِّي أم كان مُحتَجَزا أم منقطعا عن العمل، لكنه لم يبدِ أي جواب واضح، ومعرفتي الداخلية أخبرتني أنَّ صديقي مختطف بلا شك.

خرجتُ من مكاتب الموظفين الذين يعملون هناك وأنا محبَط من ردة فعلهم، ثم طرأ لي أن أدخل مكتب صديقي، ودخلته خلسة.

لم أجد ما يثير اهتمامي، تصفَّحتُ ملاحظاته والأوراق التي كان يعمل عليها، كان يحب رسم الأفكار دائما، لكن الموجود في المكتب كان بلا أهمية، أو أنهم أخذوا المهم منه! لا أعلم...

حاولت دخول جهازه الحاسوبي لكنني لم أستطع، وبعد أن فحصتُ كل شيء بنظري وفكرتُ طويلا؛ بقيتُ جالسا على الكرسي بلا حراك، ولا أعلم كم بقيتُ هناك أفكر وأفكر، ربما بقيت أكثر من ساعتين، المهم أنني عندما هممتُ بالرحيل وقفتُ أُلقي نظرة أخيرة على المكان بكل يأس، وبدت لي أشعة الشمس المنعكسة على الطاولة كأنها تكشف عن حروف منقوشة على طرف الطاولة بشكل غير مرتَّب كأنها عبث من طفل.

وقع في ظنّي أن صديقي نقشها وهو لا يرى؛ فقد كنتُ أكتب بتلك الطريقة حين كنتُ أخشاهم في عيني، لكنَّ المنقوش على الطاولة أثار اهتمامي من ناحية أخرى؛ لقد كانت هي نفسها الرموز التي لاحظتها في غرفة العذاب المصغَّر 24ب30 .

انتابني قلق عميق كأنني قد عثرت على معلومة أكيدة عن مكان اختفاء صديقي، وخرجت من المبنى وأنا غاضبٌ أيما غضب، متخيِّلا ما يمكن

أن يتعرَّض له صديقي مثل ذلك الرجل في الفيلم المرعب، تخيَّلتُ أن قطع أصابعه مناسب في حالته لأنه كان يرسم!

توقَّفتُ في طريقي عند محل القهوة الذي ابتعتُ منه كوبين لكلينا وأنا أنتظره في الخارج.

جلستُ في حديقة المقهى الزجاجية أتأمل ما حولي من الأشياء المصابة بمتلازمة وجه القمر. أعلم أنني عاهدتُ نفسي ألا آكل أي شيء في المدينة، لكنني شعرتُ برغبة عميقة في شرب هذه القهوة تحديدا كأنني كنتُ مدينا لصديقي بذلك، كأنني كنتُ مدفوعا للمقهى بشكل غريزي، كأنني كنتُ سأراه هناك.

بعد أن شربتُ نصف القهوة تقريبا؛ بكيتُ كالطفل، كان نشيجي ملفتا للنظر، ولم أستطع السيطرة على نفسي.

لا أعلم ما الذي شعرتُ به تحديدا، لكن ما مررتُ به من أشياء مرعبة؛ كان صديقي وحده هو من يأتي في بالي وقتها فيلهمني بالطريقة التي أتصرَّف بها، كلما تذكرتُ كلماته وتحذيراته واحتذيتها كانت هي الطريق دائما للعودة. ربما بكيتُ لأنني خشيتُ أن يتركني، خشيت ألا يخلوا سبيله إن اختطفوه فلا أعود إلى نفسي من بعده.

في غمرة بكائي جالسا لوحدي في المقهى، ربتَ أحدهم على كتفي من الخلف، لوهلةٍ أمِلتُ أن يكون هو صديقي، وزفرت دون أن ألتفت، أعرف أن علي ألا ألتفت إذا ربتت يد أحدهم على كتفي من الخلف، كأنها باتت لحظة لإلقاء سرٍّ مرعب... ربتَت اليد مرة أخرى وصاحبها يقول: «لا تلتفت»، ثم قال: قبل أن يختفي 35م أتى للمقهى وأخبرني أن أبلغك بأن تدقق في هذه الرموز من اليسار: 24ب30!

تملَّكتني الدهشة قبل الفزع، وأدركتُ هنا حدسي بالرموز وبالسر وبسبب البكاء العميق، لعله علم حقا باختطافه، حتى زملاء مكتبه لا شك بأنهم متورطون في ذلك، وأنا لا أتميز بالقدرة على التحليل مثله وأهل المزرعة لأتكهَّن بمصيره.

دفعتُ ثمن القهوة، وغادرتُ دون أن أعرف شكل النادل الذي نقل لي رساله صديقي. لقد كانت عيناي مشغولتين بما يمكن أن يفعلوه بصديقي في غرفة العذاب المصغَّر التي تخيلته فيها.

عندما عدتُ إلى المزرعة كان في انتظاري خبر أسوأ من فقدي لصديقي، لقد فقدتُ أبي، مات في فراشه بسلام كما عاش بسلام، ولم أشعر بأنه موجود في حياتي إلا حين أخبروني أنه مات.

ما الذي يعنيه ذلك المسمَّى موتا؟

أيمكن أن يختفي الناس ببساطة هكذا بعد أن يموتوا؟

لقد تأخرتُ كثيرا في زيارته وهو لم يبادر، كان منعزلا وفاقدا للأمل بالمتغيرات المتسارعة التي مررنا بها، حتى إنه لم يزعجني كما تفعل والدتي؛ فمذ كففتُ عن حضور منزلها بعد محاولة اختطافي؛ لم يحاول أن يضايقني بتاتا، ولم أذكر آخر مرة رأيته فيها، الأمر الذي أحزنني كأنني تلقَّيت ضربةً مفاجأة على وجهي.

لقد ترك لي الباب مفتوحا دائما مثلما فعلت أمي معي، لكنني خذلته ولم أدخل.

عندما أحضروه ميتا، بدا لي شيئا مختلفا عن أبي الذي أعرفه، كان متيبِّسا جامدا، حتى أنهم لم يسموه باسمه، ظلوا يقولون جنازة وجثة، وظللتُ أقول أبي. وكان قلبي يؤلمني مذ رأيته مغطًّى مسجى، لكن دموعي احتبست ولم

تخرج دمعة واحدة تطفئ ألمي.

كانت أمي تمسك بيدي بقوة، تضغط عليها بشكل قاسٍ والدموع تنهال من عينيها بلا توقف، لكنها لم تقل أي كلمة.

لقد احتبس كل الكلام في ذلك اليوم كما احتبست دموعي بعد انفجاري في المقهى. وعندما انتهت إجراءات الدفن تركتْ أمي يدي بهدوء ومضت لتستلقي في حجرة معتمة، وطلبت منا ألا ندخل عليها.

في المساء، حين ذهبوا لإيقاظها وجدوها هي الأخرى قد رحلت، لقد رحلت بسلام مثل أبي، وشعرتُ بأنني مفقود، وألا رفَّ بعد اليوم يمكن أن يلبِّي احتياجاتي، لا رفَّ يحوي ما أفقده، وكل محاولاتها لاستعادتي كانت محكومة بالفشل لأنني مفقود منذ زمن بعيد.

آه يا أمي، تركتني بسهولة كأنك لم تهتزّي بضعفك وعجزك عند بابي عشرات المرات، وذلك الباب الذي تركه أبي مفتوحا؛ كم أشعر بارتطامه في وجهي كل ثانية من بعد فقْدك.

19

صراخ المدينة

لم أعرف للحزن شكلا سوى ما يعتصر قلبي الآن، وقلبي بات هادئا لا يتضخم ولا يحتاج إلى كمّاشة تعيد إليه تعقُّله.

وجهي نضر كأنني شخص ممتلئ بالآمال، بنيتي قوية وحالتي جيدة رغم أنني لم آكل منذ أسبوع، منذ وفاة والديَّ في اليوم ذاته.

يراودني شكٌّ بأنهما قُتلا بطريقة ما، وتمرُّ في ذهني معاناة أمي قبل موتها مع رجليها واهتزازاتها وتشنُّجاتها غير المبررة. ويراودني أمل آخر بأن تكون أمي حيَّة في مكان ما، وأنَّ التي دفنتها بيديّ هي تلك المرأة التي قطَّعوها أمامي حين كنت مخطوفا أو واحدة أخرى تشبهها.

مرَّت أيام الأسبوع طويلة جدا، ولم تدخل أمي مع الباب تمشي على رجليها المهتزَّتين كما اعتدتُ دائما.. كالعصفور المسنّ؛ فصار الوضع يثير جنوني أكثر منه حين كانت تبكي وتبحث عني.

لم أجب على المكالمات التي وردتني ولم أفتح أية رسالة، ونسيتُ موضوع صديقي بحزني على أبويَّ، حتى دخل الطبيب عليَّ في غرفتي وسحبني من يديَّ لأذهب وأرى ما يحدث في التلفاز، لقد فقدت المدينة السيطرة على نفسها مجددا بجنون الناس، وصور صديقي 35م تملأ اللافتات، وهناك لافتة كبيرة جدا قد ثُبِّت عليها جسد ممزق، عندما دققت النظر إليه كان هو الضابط 4ب.

امتلأت مسيرة مرعبة بصور أطفال مخطوفين كثر، وصور كثيرة لصحفيين مختطفين، ومعارضين بالآلاف من الناس ممن انضمَّ ثائرا ضد خطوط الإنتاج لإغلاقها كلها هذه المرة.

رأيت الناس كأفواج النمل يتدفَّقون محطِّمين كل شيء حولهم، بعضهم يرتدي خوذات ودروع، وبعضهم يرتدي بدلات تشبه ملابس روَّاد الفضاء، والبعض قد خرج بملابسه العادية.

رأيت المدينة الزجاجية لأول مرة وهي تنهال على نفسها وتصرخ بشكل غريب، كانت المدينة تصرخ كأنها حنجرة تجرّب صوتها للمرة الأولى، صوتها يشبه تحطُّمَ كأسٍ رقيق الصنع سقط من على الطاولة.

صوت إطلاق الرصاص مجهول المصدر يصمُّ الآذان، يعلو حينا ويهبط في حين آخر منافسا صوت المدينة الصارخة، كلاهما يصرخان ببعضهما، ولا جنود ولا دبابات في المكان، ولا أطباء ولا لقاحات ولا أجساد مقطوعة الأجزاء كما في المشرحة، إنها مدينة عجيبة، مدينة لا تدافع عن نفسها في العلن لكنها في الوقت نفسه ليست جبانة.

دقائق من التدمير والهتافات المضادة والصراخ والشعارات، حتى حُجبت السماء بتلك القبة السماوية البديلة، ثم نزل مطر معدنيّ لامع جعل الناس المكشوفين هادئين جدا، أما البقية من أصحاب الدروع والبدلات الفضائية فقد زاد جنونهم عندما رأوا ما حدث للآخرين.

بدأ اللون الأحمر يعلو غضبا على الألوان الزجاجية، سالت دماء كالأنهار، كانت تشق الطرقات بشكل غريب وتبتلع المطر اللامع، اشتعلت الحرائق بعد ذلك، وما كان متماسكا من الزجاج انفجر بصراخ المدينة أكثر، وصارت المدينة تصرخ وتصرخ بحدَّة والزجاج من حولها يتكسَّر مزيدا، حتى خرج

الرئيس بعد ساعة ليعلن حالة الطوارئ ويعلّق خطوط الإنتاج كلها حتى حين آخر.

حينها زاد غضبي، وزاد اهتياجي الداخلي، وراودتني الرغبة في القضاء على كل المدن الزجاجية. تدفّق حزني بشكل لم يسبق له مثيل، تذكرت سورة غضبي على ذلك الرئيس حين ماطلَ خط إنتاج الوالدين، لكنه الآن يبدو غضبا مشوبا بالقهر والألم والندم؛ وقد تمنَّيتُ أن يعيد إليَّ والديّ، وتمنَّيت كذلك أن أموت في تلك اللحظة لئلا أفكر في أي شيء فقدته؛ فلستُ من ذلك الجيل المجنون الذي يودُّ التمسك بكل شيء، لقد أردتُ التفريط في الحياة للأبد بدءا من هذه اللحظة؛ لأن الحياة بدت لي قاسية أمام تحمُّل الغضب.

وضعتُ يديَّ الاثنتين على رأسي، ضغطتهما عليه بقوة لينفصل عن جسدي كما شعرتُ به مرةً حين فقدتُ وعيي أسبوعا، انتظرتُ من قوتي أن تتركز في أصابعي وتقتلع رأسي لأموت، لكن لم يحدث أي شيء ولم ينفصل ولم أمت كما تخيَّلت أن يحدث.

وضعت أصابعي كلها على رقبتي وركَّزت قوتي على أطرافها وأنا أغرسها بأعلاها، لكن لم يحدث أي شيء.

حينها تذكرت مخزن المحروقات القريب من الشرفة، ذهبتُ إليه وأقفلتُ على نفسي الباب، وما إن دخلت حتى جُنَّ جنون من حولي، وتعالت طرقاتهم على الباب، وزادت صرخاتهم يطلبون مني الخروج فورا.

لكنني أوقدتُ النار واشتعلتْ سريعا، لم يكن معي سوى هاتفي، وقد رفعتُ صوتي ليكون واضحا أمام النار المستعرة. ها أنا الآن أدخل الموقد توَّاقا لرؤية شكل اشتعالي؛ أيكون بشريا أم آليا أم أختفي ببساطة وبسلام كما حدث مع أبويّ.

بمجرد أن مسَّتني النار انتفى شعوري بكل شيء، فلم أعد أشعر بالألم ولا الحزن ولا الحرق، كانت النار أمام عيني يتهادى لهبها ويتجاوزني طولا وعرضا وأتمادى عنادا، حتى أنّ ذراعي لم تضئ بلمعة البروق التي شعرتُ بها عندما فقدتُ وعيي مرة، كان كل شيء على ما يُرام كأنني أتخيَّل ما أنا فيه. مضت قرابة خمس عشرة ثانية ثم صرتُ أرى البياض صافيا. البياض وحده الذي أعدمَ ثقلي وإحساسي بوزني واتجاهي مسبقا، ها هو يتجَّدد الآن، وقد شعرتُ معه بأنني أطفو مجددا، وعاودتني الرغبة بألا أرجع أبدا، تأكدتُ هذه المرة أنني لن أعود، هكذا أشعرتني معرفتي الداخلية، وبدأت أصواتهم من خلف الباب تبتعد تدريجيا، وبدأت أذهب في البياض أكثر...

من مسافة بعيدة جدا، رأيتُ شيئا أمامي في البياض، ثمة شيء كالضباب يحجب ما بيني وبينه... بدا لي بعد برهة أنها أمي ومن خلفها كان أبي يمشي. ومن بعيد لاح لي ظلُّ صديقي الذي ظننتُ أنني برحيله لن أعود إلى نفسي أبدا...

أمي تمشي الآن تجاهي بلا أية اهتزازات، كأنني أراها على هيئتها وأنا صغير، وصديقي ها هو يمشي نحوي الآن، والرؤية تبدو أصفى بقليل، لكنَّ هاتفي ليس معي، ولا شيء معي على الإطلاق.

لم أعرف ما اسم هذا المكان الأبيض الذي ذهبتُ إليه، فهو لا يشبه أي شيء أصلي أعرفه أو أي شيء مصاب بمتلازمة وجه القمر، إنه لا يشبه أي شيء حصلت عليه أو لم أحصل عليه من الرفوف اليومية.

وكل ما عرفته أنَّ هذا المكان كان موجودا قبل كل شيء، كان موجودا منذ البداية، وهذا ما جعلني أمشي نحوه باطمئنان...مكتبة سُر مَن قرأ

للتواصل مع المؤلف:

najwaotb@hotmail.com

telegram @soramnqraa

رفُّ اليوم

"ما لم يستطع السيّد الحصول عليه"

يسوء مزاج السيد في يوم ما، وتعاوده الرغبة في امتلاك صديق جديد بصورة مؤقتة تلبي حاجة أيامه. تتعثر رغبته لأسباب كثيرة لا يفهمها، وعندما يُتاح له ذلك؛ تكون الأمور قد اختلفت كثيرًا، فيهرب من رغبته بكل ما أوتي من قدرة وسط عالمٍ مختلف يكاد أن ينهار ويبتلع رغباته ورغبات كل من حوله.

ISBN 978-603-91898-0-0

تصميم الغلاف:
إسلام أحمد

أثر